أفق جديد
أسبوعية سياسية شاملة
الاثنين
6 يناير 2024
6 رجب 1446هـ
العدد التاسع

عواقب حربيـــة

صورة جماعية لمصيدة التسوّل

رهان كاذب وآخر كاسب

بينما تمر بلادنا بمنعطف تاريخي جديد، لا يزال صوت الحرب التي اندلعت في 15 أبريل يجلجل في أذهاننا، كاشفاً عمق التحديات التي تواجهنا وأبعاد الرهانات التي خاضتها الأطراف المتنازعة.

كانت الحرب اختباراً قاسياً للرهانات التي تبنتها قوى الصراع، بعضها كاذب بُني على أوهام الهيمنة والسيطرة، والآخر كاسب لأنه يستمد قوته من رغبة الشعب في استعادة وطنه من شبح الحرب والدمار.

لقد راهن البعض على السلاح والسلطة، متجاهلين تطلعات الملايين للسلام والكرامة. اعتقدوا أن القوة المفرطة ستمنحهم نصراً سريعاً، فكان رهانهم كاذباً، كلف الشعب السوداني أثماناً باهظة من دمائه وأمنه واستقراره. في المقابل، أثبت الشعب السوداني أن رهان الإرادة الشعبية والمقاومة المدنية هو الكاسب الحقيقي. فهو رهان يعكس قدرة أمة بأكملها على الصمود أمام التحديات، مهما بلغ عنفها وضراوتها.

مع دخولنا مرحلة جديدة من الصراع، يجب أن ندرك أن مستقبل السودان لن يُبنى على أنقاض الأوهام العسكرية ولا على أنقاض المدن والقرى التي دُمرت، بل على رؤية وطنية شاملة تجمع شتاتنا وتعيد ترتيب أولوياتنا.

رهاننا اليوم يجب أن يكون على الحوار والسلام والتنمية. فالرهان على الدماء لا يجلب إلا المزيد من الدماء، والرهان على الوحدة والمستقبل هو ما سيضعنا على طريق النهوض من هذا النفق المظلم.

وفي ظل الراهن قاتم الظلام، يبقى السؤال: هل نستطيع أن نحول هذا الصراع إلى درس تاريخي يؤسس لمرحلة بناء جديدة؟ الإجابة ليست في أيدي المتنازعين وحدهم، بل في أيدي كل سوداني وسودانية يؤمنون بوطن يتسع للجميع.

وجهات نظر

ثروات تُهرب.. ويجوع أصحابها
ندى أبو سن
20-21

بضعة وعشرون حميدتي محتملاً
طاهر المعتصم
22-23

سؤال المبتدأ، جواب الخبر؟! «المجاعة»، محض إفتراء، أم مجرد شظف عيش؟!
الجميل الفاضل
24-25

الحكومةُ الموازيةُ هي بدايةُ المخرج
النور حمد
27-29

السودان على سلة المبادرات العثمانية: التمدد التركي بمعادلات الاقتصاد ولعبة المصالح
خالد عبد العزيز
36-38

اللبس الكاجوال وعدم المصافحة.. أجساد «الخواجيات» وصراع القيم
علاء الدين بشير
39-41

أفق جديد
أسبوعية سياسية شاملة

رئيس التحرير
عثمان فضل الله

تصدر عن

MAARIF CENTER FOR STRATEGIC STUDIES LTD
REGISTERED OFFICE OF THE COMPANY IS SITUATED AT:
UGANDA، CENTERAL، KAMPALA، CENTERAL DIVISION، BUKESA، NSALO
POSTAL ADDRESS 177732
KAMPALA GPO

الغلاف 4-7

نزوح
كم من الوقت سنمشي في طرق النزوح المتعرجة؟ 8-10

نزوح
في ممرات الفاقة.. بين مسارات العوز 14-15

نزوح
«الاحتطاب» يثقل كاهل «عيوشة» وصويحباتها 16-19

تحليل سياسي
المبادرة التركية.. والمصالح المتضاربة
وائل محجوب 30-31

تركيا النظر من الأعلى
شوقي عبد العظيم 32-33

في العمق
أدوات التحريض سيئة السمعة 42-45

نصوص
إليه
نضال علي 57

انفوغراف 26

انفوغراف 60

صورة جماعية لمصيدة التسول

صورة مقربة

تقرير من قلب المأساة الحربية خارج نطاق القصف المباشر، يتناول معاناة الأفراد الذين اضطروا للتسول في مدينة بورتسودان نتيجة للحرب التي اجتاحت بقية أجزاء البلاد. يسرد التقرير الحكاية على لسان بعض النساء، مثل «حليمة» و«أم مصطفى»، اللواتي أجبرتهن الظروف على التسول من أجل إعالة أسرهن بعد فقدان مصادر رزقهن بسبب الحرب. يتناول التقرير الآثار النفسية والاجتماعية للنزوح والحرب على الأفراد والعائلات.

نتـائج

- ارتفع عدد المتسولين في المدينة نتيجة النزوح القسري وزيادة معدلات الفقر.
- تضررت الأسر السودانية بسبب الأوضاع الاقتصادية الصعبة.
- غياب الدعم الحكومي اللازم لمساعدة هؤلاء الأشخاص يفاقم من المأساة.

بورتسودان- محمد قنات

عدد المتسولين بالعاصمة الإدارية قبل الحرب كان 220 متسولاً منهم 120 طفلاً دون سن السادسة طبقاً لأرقام التنمية الاجتماعية

كان على «حليمة» وهو اسم مستعار لدواعٍ إنسانية، أن تدفع نفسها للشارع بمدينة بورتسودان شرقيَ السودان من أجل «التسول» لتساعد أسرتها على مواجهة الحياة الصعبة بعد خروجها من قريتها الآمنة في إحدى الولايات التي مزقتها الحرب.

ومن نافلة القول إن الحرب السودانية أنتجت جملة من المآسي المجتمعية، من من شاكلة النزوح مثلما فاقمت من معدلات الفقر وتفشي ظاهرة التسول، فعلى وقع التهجير القسري للقرى والبلدات الآمنة، اضطرت عائلات إلى السفر إلى مدن وعواصم المجهول دون مأوى أو مأكل أو مشرب.

وفي المدينة الساحلية على البحر الأحمر، بات مشهد المتسولين منتشراً بكثافة في الشوارع والممرات ومواقف المواصلات.

تقول حليمة وهي أم لأربعة أطفال، لـ«أفق جديد»، إنها لجأت إلى التسول في مدينة بورتسودان، عندما توفى زوجها، ولم تجد من أسرتها من يتحمل عبء معيشة أبنائها الصغار، فاضطرت إلى النزول إلى الطرقات تصيداً لإعانات الخيرين.

وتشير محدثتنا إلى أن العائد ضعيف جداً، كون بورتسودان باتت مزدحمة بالمحتاجين القادمين من مناطق الحرب، و«ما نجنيه بالكاد يسد الرمق». وتابعت، «السلع هي الأخرى أصبحت غالية».

وحول أكبر المبالغ التي تحصلت عليها تقول حليمة، إنها تلقت إعانة من أحد الخيرين ذات مرة بلغت «مائة ألف جنيه». وتروي بشيء من السرور: «مددت إليه يدي وأخرج من جيبه (رُبطة قروش)، وعندما حسبتها بين يدي ذهولي وجدتها مائة الف جنيه». واسترسلت: «مباشرة ومن فوري ذهبت إلى السوق، واشتريت مستلزمات أبنائي من أكل وغيره، ولساني يلهج صالح الدعاء لذلك الرجل».

وأبدت حليمة ضجرها من ازدياد عدد المتسولين في بورتسودان قائلة: «والله ضايقونا في الحاجة القليلة الكانت بتجينا دي».

وفي يونيو/ حزيران 2024، قال وزير التنمية الاجتماعية في السودان، أحمد بخيت، أن هناك أسر سودانية ميسورة تضررت نتيجة للأوضاع التي تشهدها بلاده، مما أدى إلى زيادة نسبة الفقر التي وصلت مؤخرًا إلى 65%.

وأوضح الوزير السوداني في لقاء له مع وزيرة التضامن الاجتماعي نيفين القباج، أنّ هناك أسرًا سودانية ميسورة تضررت نتيجة للأوضاع التي تشهدها بلاده، مما أدى إلى زيادة نسبة الفقر، مؤكداً أنهم «يسعون للاستفادة من التجربة المصرية في مجال الحماية الاجتماعية وسبل مكافحة الفقر بآليات متنوعة تصب في مجملها في تعزيز شبكات الأمان الاجتماعي، مع أهمية تكثيف جهود التمكين الاقتصادي وتنشيط سوق العمل».

دوام الحال من المحال

بالنسبة لـ(أم مصطفى)، وهو اسم مستعار لدواعٍ إنسانية، فأحوالها كانت ميسورة، كما تصفها، حتى في ظلّ الحرب، حيث كانت تسكن مع زوجها وأطفالها في إحدى قرى

الجزيرة وسط السودان. تقول (أم مصطفى) لـ«أفق جديد»، «كنت شاهدة على أحداث قريتي والمجازر التي نفذتها قوات الدعم السريع هناك، وراح ضحيتها العشرات من بينهم زوجي الذي مات مقتولًا أمام أطفاله».

وتابعت والدمع يغالب روايتها: «هذا يوم لا يمكن نسيانه.. تسلل الخوف والفزع لأطفالي، وفي اليوم التالي خرجت مع أبنائي ضمن مجموعة كبيرة من النازحين، وبطبيعة الحال تفرقت بنا السبل، فسلكت طريقي إلى بورتسودان لأجد نفسي مجابهة بمتطلبات يومية من أكل وشراب وسكن، فاضطررت أن أمد يدي إلى أصحاب الخير في الطرقات من أجل أطفالي ووالدتي المُسنة».

وتسترسل (أم صطفى) بالقول: «أنا الآن أعيش داخل مدرسة مخصصة لإيواء النازحين، أخرج منها في الصباح الباكر أجوب الطرقات والأسواق، وأعود ليلًا أحمل معي الطعام، وقليل من النقود».

وفي نوفمبر الماضي، أقرت مدير إدارة المشردين بوزارة الرعاية الاجتماعية ولاية البحر الأحمر، مها محمد الهاشمي، بأن الولاية تشهد انفجارًا في عدد المتسولين بصورة لم تشهدها من قبل.

وبينما لا توجد إحصائية رسمية بأعداد المتسولين حاليًا، قالت الهاشمي في تصريحات إعلامية، إن «عدد المتسولين قبل الحرب كان 220 متسول بمدينة بورتسودان منهم 120 طفل دون سن السادسة و100 فوق سن السادسة، بينهم مراهقين وكبار سن». وأضافت: «كنا نعرف أسرهم ونقاط تجمعاتهم والأماكن التي يمارسون فيها التسول».

نسبة الفقر في البلاد العام الماضي وصلت إلى

%65

طبقاً للتنفيذي الأول التنمية الاجتماعية

دعم حكومي غائب

بالنسبة إلى المستشار بوزارة التنمية الاجتماعية، محمد يوسف إبراهيم، فإن «ظاهرة التسول الآن فوق طاقة وزارة التنمية الاجتماعية التي لا تقدم شيئًا الآن لشريحة المتسولين، بينما في الماضي كانت الوزارة تدير مركزًا للإيواء المؤقت للأطفال الذين يمارسون التسول، وذلك بدعم من

منظمة اليونيسف حيث يتم حصرهم بعد دراسات وإحصاءات وتقدم لهم المأوى والطعام والحصص المدرسية، كما يتم إدماجهم في أسرهم. والآن كل شيء قد توقف مع الحرب».

وأضاف إبراهيم في حديثه لـ«أفق جديد»، «هنالك شرائح هشة وضعيفة، وتكاد تكون معدومة وهؤلاء يلجؤون إلى التسول لسد جزء بسيط من احتياجاتهم اليومية، وأن مثل هذه الشرائح موجودة في جميع الدول».

وتابع، «توجد شريحة من المتسولين في السودان يتخذون من التسول وظيفة دائمة، ولا توجد لديهم مهنة غيرها ولا يفكرون في أي عمل له عوائد مالية، وحتى إذا تدخلت الحكومة عبر أجهزتها لتوفير عمل للمتسولين يمكن أن يرفضونه باعتبار أن المداخيل التي يحصلوا عليها من التسول لا يمكن مقارنتها مع دخل أي وظيفة أخرى في المتناول».

ورأى إبراهيم أن جزءاً كبيراً من المتسولين يمارسون الغش والكذب ابتغاء الحصول على المساعدة، كما أن هناك شباباً ضمن هذه الشريحة كان الأولى لهم البحث عن عمل بدلاً عن مد أياديهم للآخرين». وزاد: «هناك أعداد كبيرة وسط المتسولين لديهم وظائف لكنهم يلجأون للتسول من أجل زيادة دخلهم المادي، فلابد من تدخل الدولة للحد من انتشار الظاهرة».

فقدان الوظيفة

بالنسبة إلى الباحث الاجتماعي، إبراهيم كلوكة، فإن «ظاهرة التسول من قبل كانت متصلة بالتفكك الأسري وانفصال الأبوين وعنف الآباء والفقر الذي يقود الى التشرد الجُزئي أو الكُلى للأطفال والتسرب من المدارس».

ويعزو كلوكة خلال حديثه لـ«أفق جديد» ازدياد أعداد المتسولين بالضرورة إلى مسألة الحرب، التي خرج على إثرها الكثيرون من دائرة التعفف إلى دائرة التسول، حيث فقدت بعض الأسر عائلهم في الحرب، وفقد آخرون وظائفهم ورواتبهم.

وأضاف: «هناك أيضاً أسر عديدة فقدت أموالها وممتلكاتها وتجارتها بسبب الحرب، وتحولت إلى أسر فقيرة، يمكن أن تدفعها الحاجة إلى طرق أبواب التسول».

ويختم كلوكة حديثه بالتأكيد على أنّ معالجة ظاهرة التسول في الوقت الحالي أمر في غاية الصعوبة، لأنه في ظل الحرب الدائرة الآن يصعب تحديد الأشخاص المحتاجين من غيرهم.

أفق جديد

كم من الوقت سنمشي في طرق النزوح المتعرجة؟

صورة مقربة

يتناول التقرير معاناة أسرة عبد المنعم علي محمد خير في حي «أم بدة» جراء الحرب وانقطاع الخدمات الأساسية، ما اضطرهم إلى النزوح صوب «كرري» بحثًا عن الأمان ومقومات الحياة. واجهت الأسرة ظروفًا قاسية من نقص الغذاء والماء والأدوية، وصعوبة الحصول على المال في ظل ارتفاع الأسعار. ورغم كل هذه المعاناة، أظهرت الأسرة تماسكًا اجتماعيًا ودعمًا من الجيران والأصدقاء، مما أعطاها الأمل في المستقبل.

خلاصات:

- أوضاع النازحين في الخرطوم تتسم بصعوبة بالغة وفي ظل ظروف صحية واقتصادية مترديّة.
- مدينة أم درمان شهدت تدفقًا كبيرًا من النازحين من مناطق متأثرة بالحرب، بحثًا عن الأمان.
- رغم الجهود التي تبذلها المنظمات الدولية والإنسانية لتقديم المساعدات، إلا أنها تواجه تحديات كبيرة مثل نقص التمويل وصعوبة الوصول إلى المناطق المتضررة وانتشار الأمراض.
- يسلط الضوء على تماسك المجتمع السوداني ودعمه للنازحين، ويشير إلى أن أزمة النزوح في السودان تعد من أكبر الأزمات الإنسانية في العالم، وتتطلب جهودًا دولية عاجلة لإنهاء الحرب وتقديم المساعدات العاجلة.

الخرطوم - هديل عماد الدين

تقدم هيومن أبيل الوجبات في مركز إيواء يضم 3 ألف نازح بالحارة (67) كما تقوم بتوزيع 20 ألف من رغيف الخبز يوميًا للمستحقين في أم درمان

مثلها وملايين الأسر السودانية اضطرت أسرة عبد المنعم علي محمد خير إلى النزوح من المنطقة الملتهبة بنيران الاشتباكات العسكرية، ومغادرة حي أمبدة، غربي أمدرمان، بحثاً عن ملاذ آمن خارج السياقات الحربية.

تسببت ضراوة القتال في المنطقة في اتخاذ القرار القاسي. وبعد رحلة معاناة شاقة وطويلة وصلت الأسرة المكلومة إلى «كرري» شمالي العاصمة الخرطوم.

يقول عبد المنعم لـ«أفق جديد»: «قررت الخروج من الحي بعد خلو المنطقة من السُكان»، ويسترسل: «عشنا مُعاناة كبيرة بغية الحصول على معينات الحياة»، مشيراً لانعدام الأمن ونقص المياه والكهرباء وانعدام الخدمات الأساسية التي أجبرتهم على الخروج.

وتابع منعم: «أعاني من ضعف النظر الحاد، وأحتاج إلى من يقودني، وبناتي يتحملن العبء الأكبر في البحث عن الغذاء والماء، واضطررت السير لمسافات طويلة للوصول إلى أقرب متجر مفتوح لشراء الاحتياجات اليومية».

سُمية وهي إحدى بنات عبد المنعم، تحدثت لـ«أفق جديد»، تحدثت هي الأخرى عن صدمتها من اندلاع الحرب وعن الجهود التي بذلتها وعائلتها للصمود في ظل الظروف القاسية، وقالت: «تفاجأنا بالحرب ولم تكن في حسباننا. حاولنا الصمود طوال السبعة أشهر الأولى لكننا لم نستطع أكثر من ذلك».

ويتطابق تبرير سُمية مع ذات الأسباب التي ساقها والدها عبد المنعم عندما سردت الصعوبات التي ألمت بحياتهم، فضلا عن الأمراض التي حفت أسرتهم.

وأضافت بالقول: «عشنا تجربة مريرة عندما أصيب والدي بالملاريا. سهرنا أنا وأختي كي نخفّض درجة حرارته باستخدام الكمادات الباردة، واستمر الحال حتى الصباح».

وعند سؤالنا لها عن الوضع الأمني في المنطقة، أشارت إلى أنها كانت مؤلمة بالنسبة لهم، وأن جيرانهم تأثروا كذلك. واسترسلت: كنا نسمع أصوات صراخ، الطبل وهي تتكسر، وفي الصباح تأتينا الأنباء بموت «فلان».

وأشارت سُمية إلى الصعوبات التي واجهتها كذلك في تأمين احتياجات أسرتها الأساسية واستحالة الحصول على سيولة نقدية. وتشرح بمزيد من التأكيد: «كنا في معاناة مسترسلة. قبل كل شيء فاجأتنا الحرب كموظفين في الجانب المادي. قضت على مدخراتنا على قلتها، وبتنا نعتمد على المصروفات والإعانات المرسلة لنا من الخارج»، مشيرة على أن الحصار المفروض على المنطقة أدى كذلك إلى ارتفاع الأسعار ونقص السلع.

وتابعت بالقول: «كنا نعتمد على وجبات بسيطة ومحدودة، ولكننا كنا نشعر بقيمة كل لقمة تدخل جوفنا».

وعلى الرغم من معاناة سُمية وعائلتها، إلا أنها أكدت على أهمية التماسك الاجتماعي قائلة: «وجدنا الكثير من الدعم والمساعدة من جيراننا و أصدقائنا. هذا التضامن هو ما أعطانا الأمل في المستقبل».

ويكابد النازحون في ولاية الخرطوم أوضاعًا إنسانية بالغة الصعوبة طبقاً لجولة «أفق جديد» في عدد من الأحياء المتأثرة بالحرب؛ حيث يعيشون في مخيمات عشوائية أو لدى أقارب وأصدقاء، وفي ظل ظروف صحية واقتصادية متردية، فضلاً عن تشتت الأسر، ونقص الغذاء وحاجتهم الماسة للمياه النظيفة، والرعاية الصحية، ومجابهتهم تحديات متعاظمة في مختلف الضروب الحياتية.

ويقول عبد الباري حسن، وهو مدير إحدى المشاريع في منظمة «هيومن أبيل» البريطانية، إن مدينة أم درمان قد شهدت خلال الفترة الأخيرة تدفق أعداد كبيرة من النازحين من مناطق متأثرة بالحرب مثل أم بدة، الفتيحاب، والمهندسين، بالإضافة إلى مناطق شمال بحري مثل الكباشي والخوجلاب، وأيضًا من ولايات أخرى.

ويشير عبد الباري خلال إفادته لـ«أفق جديد»، إلى أن النزوح بسبب تدهور الأوضاع الأمنية؛ ما يجعل هذه المناطق غير آمنة بسبب الانتهاكات المنظورة لقوات الدعم السريع، مشيراً إلى أن المناطق الخاضعة لسيطرة الجيش في أم درمان بات يُنظر إليه كمناطق حماية للمواطنين خارج خارطة الانتهاكات.

وعند سؤالنا له عن ما إذا كان هنالك إحصائيات لأعداد النازحين في ولاية الخرطوم أجاب قائلًا: «لا توجد إحصائيات دقيقة حول أعداد النازحين في أم درمان بسبب الطبيعة الديناميكية للنزوح، حيث يشهد الوضع حركة نزوح يومية مستمرة من وإلى المناطق التي أصبحت آمنة بعد سيطرة الجيش عليها، مثل أم بدة، الفتيحاب، والمهندسين». ومع ذلك، كما يقول، تبذل بعض الجهات الخيرية جهودًا لتقديم الدعم، ومن أبرز المبادرات الإنسانية انتشار التكايا التي تقدم الطعام للنازحين في معظم أحياء أم درمان، بجهود من منظمات خيرية وجهات داعمة.

ويشير عبد الباري، وهو أيضًا مدير مشروع (النقد مقابل العمل)، إلى أن مبادرتهم كانت واحدة من المشاريع البارزة لدعم النازحين في أم درمان، حيث نفذتها منظمة «هيومن أبيل» بدعم من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي وبالتعاون مع لجان الأحياء، موضحاً أن المشروع يشمل تسجيل النازحين والمقيمين لتشغيلهم في أعمال النظافة العامة، مما يساهم في تحسين البيئة وتوفير دعم مادي للمشاركين.

ومع ذلك، يواجه المشروع تحديات جمة طبقا لمحدثنا، بسبب مغادرة عدد من المسجلين إلى منازلهم بعد تحسن الوضع الأمني، بينما استمر بعض النازحين في المشاركة واستفادوا من عوائده.

وللمنظمة كذلك مركز إطعام في الحارة (76) كما يقول عبد الباري، يقدم الوجبات إلى مستحقيها في مركز إيواء يضم 3 ألف نازح، كما تقوم بتوزيع 20 ألف من رغيف الخبز يوميًا للمستحقين في كل مناطق أم درمان.

معتبراً أن الاحصائيات لا تمثل العدد الحقيقي لأن حجم النزوح كبير جداً في أم درمان. وتابع: «أم درمان تمثل ملاذًا آمنًا للنازحين، وسط جهود محلية ودولية لتحسين أوضاعهم»، معتبراً أن التعاون بين المجتمع المحلي والمنظمات الإنسانية ساعد في تخفيف معاناة النازحين وتحسين الظروف المعيشية في المدينة.

نوبة طويلة من الألم داخل بيوت «القش»

الصورة الكبيرة

ظروف صعبة يواجهها النازحون في مخيم «أم رمانة» بمدينة النهود بولاية غرب كردفان بسبب الحرب في السودان. معاناة هؤلاء النازحين من نقص الغذاء والدواء، وسوء الأحوال المعيشية، تفوق الوصف، وغياب الدعم الحكومي يفاقم المأساة.

خلاصات

- معاناة النازحين: نقص الغذاء والدواء وغياب الدعم الحكومي.
- الظروف القاسية: العيش في خيام قشية لا تقيهم من البرد والأمطار.
- غياب الخدمات: عدم تلقي النازحين أي خدمات حكومية رغم الاحتجاجات.
- مخيمات النزوح: انتشار مخيمات النزوح في عدة محليات داخل الولاية.
- تفاقم الوضع: استقبال ولاية غرب كردفان لأعداد كبيرة من النازحين منذ اندلاع الحرب في أبريل 2023.
- قصص النازحين: روايات بعض النازحين عن فقدان الأهل والممتلكات والمعاناة اليومية.

النهود- حمد سليمان

عدد النازحين بغرب كردفان بلغ 33.313 أسرة وفق بيانات العون الإنساني بالولاية

«تعودنا على الجوع»، قالت النازحة، فرحة عبد الله، التي تقيم في مخيم «أم رمانة» بمدينة النهود بولاية غرب كردفان، لـ«أفق جديد».

هكذا لخصت المرأة التي تبلغ (52) عامًا مأساتها ومُعاناتها داخل مخيم النزوح البائس؛ في ظل نقص الغذاء والدواء.

وأضافت: «عجزنا عن توفير احتياجات أطفالنا. عانينا في موسم الأمطار بسبب الرواكيب المبنية من القش، وحاليًا نعاني من موسم الشتاء القارص لعدم وجود البطاطين «.

وتابعت: «لم نتلق أي خدمات حكومية أو من ديوان الزكاة، رغم أننا ذهبنا في موكب احتجاجي إلى المحلية، وتلقينا اعتذرت ووعود لفراغ صندوق النقد المالي».

ومُنذ اندلاع الحرب منتصف أبريل/ نيسان 2023، استقبلت ولاية غرب كردفان ومحلياتها الأربعة عشر أعدادًا كبيرة من النازحين بلغ عددهم 33 ألف و313 أسرة. وفق بيانات حصر وإحصاء الصادر عن مفوضية العون الإنساني بالولاية.

وتضم الولاية مخيمات نزوح متفرقة في محليات «الفولة، بابنوسة، المجلد، الميرم، الدِبب، لقاوة، كيلك، السنوط، النهود، غبيش، الخوي، وبد بندة، أبو زبد، والأضية»، بسبب الحرب بين الجيش السوداني، وقوات «الدعم السريع»، بجانب الاشتباكات المتفرقة بين الجيش السوداني، وقوات الحركة الشعبية/ شمال، بقيادة عبد العزيز الحلو، في ولاية جنوب كردفان.

وقبل بدء الصراع المدمر بين الجيش السوداني، وقوات «الدعم السريع»، كان ثلثا سكان السودان يعيشون بالفعل في فقر مدقع، والآن يواجه المزيد من الناس احتمال الفقر التام.

من جهتها تقول الرحمة عبد الله نجم الدين، (46) عامًا التي نزحت من قرى «برباش»، لـ«أفق جديد»، «نزحت من قريتي منذ عام تقريبًا، وجئت إلى هنا، لكنني لم أتلقَ أي دعم من الحكومة، رغم عملية الإحصاء للنازحين».

وأضافت قائلة والحسرة تكسو وجهها: «وعدونا لكن لم يصلنا أي شيء».

وتابعت: «نتمنى أن يزورنا المسؤولون للوقوف على أوضاعنا، وكما ترى نواجه موجة برد، ولا نملك أغطية أو خيام.. نسكن في بيوت القش التي لا تحمينا من البرد والأمطار». وزادت بالقول: «نحن في أشد الحاجة إلى مواد إغاثية وأواني منزلية. أحيانا نضطر لتبادل الأواني داخل المعسكر لنصنع الطعام «.

نقص الطعام

رحاب جودة الله، وهي عضو لجنة في معسكر «أم رمانة»، أقرت باستلام أواني منزلية، و60 جوال دقيق زنة (25) كيلو في العام 2023، لمجموع 134 أسرة داخل المخيم.

وقالت جودة الله في حديثها لـ«أفق جديد»، لدينا أعداد كبيرة من النازحين قادمين من الخرطوم، الفولة، وبابنوسة، لا يجدون ما يأكلونه في ظل فصل الشتاء، وبعض الأسر ينامون دون طعام، والبعض ينتظر أصحاب المبادرات الخيرية لتوفير وجبة اليوم التي نقوم بإعدادها داخل المخيم «.

وأوضحت جودة الله، أن المفوضية، رفضت تقديم أي خدمات للمخيم، بحجة أن الموجودين مهجرين وليسوا بنازحين، رغم تسليم المدير التنفيذي لمحلية النهود قائمة

بأسماء النازحين بمناطق نزوحهم.

وأضافت، «تم تحويلنا إلى مفوضية العون الإنساني، وعندما ذهبنا إلى الشخص المعني طلب منّا الحضور إليه في يوم مُعين لأداء القسم لإثبات حقيقة أن الموجودين نازحين وعندما ذهبنا إليه في الموعد لم نجده وما زلنا عند محطة انتظار المسؤولين ».

عشة صغيرة

بالنسبة لعاطف أحمد، (36) عامًا، الذي كان يسكن في بناية متعددة الطوابق في مدينة «جياد» الصناعية، فقد وجد نفسه بين النزوح داخل بيت من القش في محلية النهود بولاية غرب كردفان التي وصل إليها بعد مُعاناة ومشقة.

يقول أحمد لـ«أفق جديد»: «عايشت كل المآسي جئت إلى هنا منذ العام 2023، ولم أجد شيء. هناك تقصير تجاه النازحين من قبل القائمين على أمر البلد لم يزورونا حتى ولم يقدموا لنا شيء».

وأضاف: «داخل المخيم المبني من القش، أحمل أطفالي عند هطول الأمطار، إلى مكان أكثر دِفئًا وأمنًا، وعندما يتوقف تساقط المياه الذي يتسرب من ثنايا القش، أعود بهم إلى القُطية الصغيرة ».

وتابع: «فقدت كل ممتلكاتي عقب اندلاع الحرب، بسبب سرقة أثاث المنزل، وركشة وموتر تكتك. وحملت فقط ملابس أطفالي، لكن رغم ذلك النهابون سرقوها قبل وصولي إلى مدينة الأبيض».

ولم يتلق محرر «أفق جديد»، أي تعليق من سلطات محلية في النهود، أو مفوضية العون الإنساني، رغم ملاحقتنا لهم بالاستفسارات المتكررة حول تردي الأوضاع داخل مخيمات النزوح، وعدم تلقي النازحين حصصهم الغذائية.

وحول عملية النهب التي تعرض لها عاطف وآخرون في جبل كردفان عند مدخل مدينة الأبيض يروي بالقول:

عضو لجنة بمعسكر «أم رمانة»: استلمنا

60

جوال دقيق لمجموع

134

أسرة داخل المخيم

«في طريقنا إلى النهود تعرضنا لعملية نهب في جبل كردفان وكادوا أن يقتلونني عندما حاول أحدهم التحرش بزوجتي أمسكت يده ودفعته عنها ليطالبه أحدهم بذبحي فقلت لهم اذبحوني فلو فعلتم أو لم تفعلوا فأنا في كل الأحوال مذبوح لكن لا تقترب من زوجتي، بعدها وضعوا السلاح على رأس طفلتي الصغيرة وهددوا بقتلها حال لم أسلمهم ما عندي من نقود».

وأضاف: «بعد وصولنا إلى الأبيض ذهبت لتبليغ الوحدات العسكرية وتم القبض على سائق البص واثنين آخرين كانوا مشاركين في عملية النهب وبعد التحري معهم وجدوا ما يثبت تورطهم وبعد حصر جملة المنهوبات التي بلغت 21 مليون جنيه، وعدونا في قسم الشرطة بمحاسبة المتهمين ولكن فوجئنا في اليوم التالي بإطلاق سراحهم في ظروف غامضة وربما مقابل مبلغ مالي لتلحق بجملة البلاغات الأخرى التي ذهبت في ذات الاتجاه».

وتابع: «طرقت كل أبواب المسؤولين داخل محلية النهود دون جدوى. ذهبت بنفسي إلى المحلية التي طالبتني بالرجوع إلى اللجنة داخل المخيم وتسجيل اسمي، لكن رغم ذلك لم أتلق شيئاً. واضح أن هناك عدم عدالة في توزيع الإعانات».

ودعا عاطف أحمد الأطراف المتحاربة لوضع حد للمأساة، ومضى قائلًا: «أي زول في الخرطوم أو الجزيرة عايش ويلات الحرب ومن هنا أدعوا المتحاربين إلى ضرورة الكف عما يفعلونه الآن ويجب عليهم الشعور بمآسي أبناء شعبنا ويحنوا على الأطفال والنساء والعجزة حتى ولو كانت بينهم ضغائن شخصية. الحرب طاحنة دمرت البلد وما كنا نتخيل في يوم من الأيام أن نعيش هذا الكابوس».

أفق جديد

في ممرات الفاقة.. بين مسارات العوز

عن كثب

جراء القتال والعنف في منطقة «دار السلام» غربي أم درمان، توالت أحوال النزوح. رصد لمسارات رحلة نجلاء وأطفالها الأربعة الذين نزحوا إلى مدينة دنقلا بالولاية الشمالية. رصد كذلك للمعاناة الصحية والمعيشية؛ حيث يعاني النازحون من نقص حاد في الغذاء والدواء والكساء، مع تعرض بعض الحالات للإغماء وسوء الأوضاع الاقتصادية. نجلاء تعاني من مشكلات صحية بسبب إزالة كليتها وتعجز عن توفير الدواء. ضمن تجارب النازحين تروي النازحة هدى حكايتها ورحلتها التي امتدت عبر 4 ولايات، مشيرة إلى نقص الاهتمام بالصحة والغذاء. كما أن هناك نقص في الدعم الغذائي والدوائي في مخيم النزوح. في شأن الأوضاع التعليمية تروي الطالبة عفراء عمر مشكلات في مواصلة تعليمها بسبب نقص المال، وتطلب زيادة الدعم المالي داخل مخيمات النزوح. يسرد المحتوى كذلك حكاية محمد عبد الله، النازح من الخرطوم إلى الولاية الشمالية، ومعاناته جراء نقص الخدمات.

معالم رئيسية:

- إحصائيات وتحديات: مدينة دنقلا استقبلت أكثر من 3 مليون نازح منذ اندلاع الحرب في أبريل الماضي
- تواجه مفوضية العون الإنساني تحديات في إحصاء النازحين.
- هناك دعم عيني شهري من منظمات غوث إنساني ومنح من بعض الدول.
- بالمجمل تتوالى الشكاوى على لسان المكتوين بالأزمة جراء نقص الخدمات الضرورية وظروف النزوح المعقدة التي يمرون بها.

دنقلا – عبير جعفر

استقبلت دنقلا أكثر من 3.600.000 نازح منذ اندلاع حرب أبريل

في ظروف إنسانية بالغة التعقيد نزحت نجلاء، معية أطفالها الأربعة، من منزلها بمنطقة «دار السلام» غربي مدينة أم درمان هربًا من القتال والعنف ووصلت إلى مدينة دنقلا عاصمة الولاية الشمالية.

تقول نجلاء -وهو اسم مستعار لدواعٍ أمنية- إنها سبق وأن أُزيلت كليتها، وهي عاجزة اليوم عن توفير الدواء. ومن داخل مدرسة «السرايا» بمدينة دنقلا التي اتخذتها ملاذا تشكو محدثتنا ثقل وطأة الأوضاع وهي تحاول كفكفة دموعها: «أحد أبنائي تعرض إلى حساسية في العين، والأوضاع الاقتصادية سيئة»، مطالبة بتوفير الطعام والدواء والكساء للنازحين بمراكز الإيواء، خاصة وأن بعض الحالات وصلت إلى مرحلة الإغماء.

من جهتها تسرد النازحة هدى -وهو اسم مستعار كذلك- مسارات رحلات نزوحها التي امتدت لـ4 ولايات مختلفة إلى أن وصلت إلى الولاية الشمالية. ونبهت بين يدي حديثها لـ«أفق جديد»، إلى عدم الاهتمام بالصحة والغذاء، وقالت: «نتلقى وجبات قليلة لا تكفي لكامل أفراد الأسرة».

وأكدت وجود أرامل وأيتام في مخيم النزوح، مع نقص حاد في الغذاء والدواء، مشددة على ضرورة توفير الاحتياجات الضرورية للنازحين.

وأضافت: «بدأت في صنع بعض الأطعمة لتوفير بعض المال، لكن التكلفة باهظة الثمن، والدعم النقدي البالغ 18 ألف جنيه قليل جداً»، حاثة الجهات المسؤولة على زيادة الدعم، خاصة وأنهم في فصل الشتاء.

من جانبها، تقول عفراء عمر (طالبة)، إنها تواجه مشكلة في مواصلة تعليمها مع نقص المال لمواجهة المصروفات الجامعية التي بلغت مليون جنيه في العام.

عفراء التي نزحت من حي «الدروشاب» بمدينة بحري شمالي الخرطوم، قالت في حديثها لـ«أفق جديد»، أن عناصر قوات «الدعم السريع»، اعتقلت شقيقها البالغ من العمر 18 عامًا.

وأضافت: «نطلب زيادة الدعم النقدي داخل مخيمات النزوح لمواجهة الاحتياجات اليومية، والظروف الصعبة».

وطبقاً للسلطات المحلية، فإن مدينة دنقلا عاصمة الولاية الشمالية، استقبلت أكثر من 3 مليون نازح منذ اندلاع الحرب منتصف أبريل من العام الماضي.

وأوضح المدير العام لمفوضية العون الإنساني بالولاية الشمالية، عبد الرحمن خيري، في تصريح لـ«أفق جديد»، أن العاصمة دنقلا استقبلت أكثر من 3 مليون و600 ألف نازح موزعين على 8 مراكز إيواء بالمدينة.

وكشف خيري، عن دعم عيني للنازحين على مستوى مراكز الإيواء والأحياء شهريا، تشمل (الدقيق، الزيت، العدس والملح)، من منظمات غوث إنساني ومنح من بعض الدول مثل قطر والكويت وتركيا والسعودية.

ونبّه خيري، إلى تحديات واجهت المفوضية منذ اندلاع الحرب تمثلت في إحصائية النازحين، لكنها تعمل حاليا على معالجتها مع رؤساء اللجان في الأحياء.

وفي وقت أكد في خيري تفعيل قطاعات حيوية تتمثل في التعليم، كسب العيش، الأمن الغذائي، الصحة والمياه والصرف الصحي، والحماية بالتنسيق مع وزارة الشؤون الاجتماعية، إلا أن حديث المواطن محمد عبد الله، الذي نزح من الخرطوم إلى الولاية الشمالية، يبدو ناسفاً لنبرة التفاؤل التي يبديها مسؤول المفوضية.

ويشكو عبد الله في حديثه لـ«أفق جديد» من تبعات النزوح بالغة التعقيد، في ظل نقص الخدمات الضرورية، يقول: «أنا مهندس في إحدى الشركات الكبرى، وأب لولدين و3 بنات، في مراحل دراسية مختلفة، واجبرتنا الحرب على النزوح في ظرف سيئ للغاية».

ويسترسل: «قررت مضطراً اللجوء إلى مخيم النزوح مع أسرتي، رغم الضغط النفسي». وتابع: «يعيش النازحون الفارون من مناطق النزاع ظروفا مأساوية تفتقر إلى أدنى مقومات الحياة الطبيعية، ويعانون العطش والمرض والجوع».

«الاحتطاب» يثقل كاهل «عيوشة» وصويحباتها

الإطار العام

تقرير يستعرض الأوضاع المأساوية لسكان قرى «المناصير» بمحلية الدامر شمالي السودان، والذين يعانون من الفقر الشديد وافتقارهم لأبسط ضروريات الحياة. النساء والأطفال يجمعون الحطب من أشجار «المسكيت» الشوكية لبيعه بأسعار زهيدة، وهي حرفة تشكل مصدر دخلهم الرئيسي رغم العائد الضعيف والمخاطر الصحية الناتجة عن الأشواك السامة. كما يعاني السكان من انتشار الأمراض والأوبئة بسبب تردّي الأوضاع الصحية، خاصة في مستشفى القرية الذي يستقبل حوالي 20 حالة التهابية شهرياً بسبب إصابات الأشواك.

معالم رئيسية:

• النزوح: أهالي المناصير أصروا على البقاء حول البحيرة بعد تشييد السد، كما وجد النازحون سانحة للإقامة في المنازل المشيدة وغير المأهولة بالسكان بعد ترحيل النازحين القادمين من ولاية الخرطوم والمقيمين بمدارس عطبرة.

• الأوضاع الاقتصادية: التقرير يسلط الضوء على الاستغلال الاقتصادي للأطفال العاملين في الأعمال الشاقة بأجور زهيدة، ويدعو المنظمات الإنسانية والخيرية إلى تقديم المساعدة لهم.

• ينحو التقرير للتنبيه إلى عمالة الأطفال وضرورة محاربة الظاهرة فيما تتضطر الأوضاع الاقتصادية إلى دفع هؤلاء لاقتحام الصعاب.

يدلف الكثير من النازحين في قرى المناصير دون سن 15 عاما إلى سوق العمل بمداخيله الشحيحة ومشاقه الجمة

بعد الوصول من رحلة الاحتطاب القاسية، تقوم «عيوشة» ورفيقاتها بإعادة ترتيب ورص الحطب وعرضه للبيع أمام المنازل، أو استبداله بحفنة سكر من الدكان. تقول الفتاة اليافعة التي أرهقتها رحلة النزوح لـ«أفق جديد»: «نبيع (الفزعة) -أي حزمة الحطب- بمبلغ 500 جنيه. ده إذا لقينا زول يشتريها». تدرك «عيوشة» بالضرورة أن العائد المتوقع من حزمة الحطب ضعيف وبالكاد يسد الرمق. تسارع بتفسير واقعها الاقتصادي ببصيرة خبير في الحقل: «السكان هنا نازحون وفقراء. يضطرون إلى شراء الحطب لإنضاج الطعام ونحن نقتات من فتات ما تجود به مداخيلهم». تتوسم خيراً في المنظمات الإنسانية والخيرية لمساعدة سكان قرى «المناصير» التي تعيش أوضاعًا مأساوية وتفتقر لأبسط ضروريات الحياة.

الجائل بين طرقات القرية (6) بقرى المناصير في محلية الدامر شمالي السودان، سرعان ما يكتشف سوء أوضاع النازحين بسبب الحرب، وارتفاع نسبة الفقر؛ إذ لا توجد مصادر دخل للسكان.

وتستأثر حرفة جمع الحطب من أشجار المسكيت الشوكية، وبيعه بأسعار زهيدة، باهتمام النساء والأطفال هنا، رغما عن ضعف العائد.

إبان زيارتنا لمسنا عن قرب مُعاناة السكان مع الأمراض والأوبئة، وتردّد الحالات الالتهابية إلى مستشفى القرية الناجمة عن انتشار عمالة الأطفال والإصابة بالأشواك السامة.

القاصد لقرى «المناصير» من أي ضاحية من ضواحي عطبرة يعرف موقف المركبات التي تنقل ركاب القرى المرقمة (بالقرية 2 والقرية 6). تقع تلك الأحياء بمحلية الدامر، وتبعد من مدينة بربر أكثر من 35 كيلو متراً.

شُيدت قرى المناصير، إبان قيام سد مروي بواسطة إدارة السدود في عهد النظام السابق، لكن أهالي المناصير أصروا على بقائهم حول البحيرة؛ وظلت تلك المساكن خاوية ليتم ترحيل النازحين القادمين من ولاية الخرطوم والمقيمين بالمدراس بمدينة عطبرة قسريا للإقامة بها بواسطة والي ولاية نهر النيل .

تتراص المركبات القاصدة لقرى المناصير بموقف سوق

الدامر وتعد القرية (6) من أكبر تجمع للنازحين وينادي الكمسنجية (القرية 6.. يلا أرح.. مقعد واحد). والملاحظ أن المركبة لا تمتلئ سريعًا، ولربما احتاج اكتمال مقاعد العربة إلى ساعة وأكثر؛ ما يشي بقلة عدد السكان أو أصحاب المصلحة في تلك الفيافي.

تصل العربات للمحطة الأخيرة بسوق القرية بعد مرورها بمزارع وأراضٍ جرداء. زهاء الساعة وربع الساعة هو الزمن المقدر للوصول إلى سوق القرية. يبدو المكان فقيرًا في مجمله. تشي بذلك سيماء العابرين وقيمة البضائع المعروضة على الأرض، والتي كساها الغبار.

تصطف عربات «الكارو» التي تجرها الدواب بالقرب من موقف المركبات في انتظار القادمين. سعر الرحلة عبر العربة البدائية إلى المساكن ودور الإيواء يناهز 4 ألف جنيه.

سرعان ما تلتقط أعيننا مشهد مجموعة من الفتيات والأطفال يهمون بالذهاب إلى غابات أشجار «المسكيت»، الجافة بغرض جمع أعواد الأشجار لبيع الجزء الأكبر واستخدام المتبقي في الأغراض المنزلية.

في العادة يهب الجميع في الصباح الباكر، ويتجهون في مجموعات متفاوتة العدد صوب الغابات المكسوة بأشجار المسكيت. في الطريق إلى الغابات كان الكُل يحتمل أدوات القطع من فؤوس ومناجل، فضلا عن الجوالات الفارغة. تقول (عيوشة): «كنت أسكن في الحلفايا مربع (6). درست في جامعة السودان، المستوى الثاني؛ كلية الترجمة (لغات). وعقب اندلاع المعارك نزحت رفقة أسرتي المكونة من (25) فرد إلى عدة جهات شملت الجزيرة، في منطقة ودراوة، وشندي ومناطق أخرى وصولاً إلى عطبرة، حيث أقمنا بدار إيواء، قبل انتقالنا إلى قرى المناصير؛ حيث توجد منازل مشيدة وغير مأهولة بالسكان».

وتسترسل عيوشة: «بالرغم من عدم وجود كهرباء ومياه صالحة للشرب قمنا بتنظيف المنزل المخصص لنا من العناكب وبعض الأعشاب التي تنبت بصورة عشوائية (الضريسة). وجدنا كذلك بعض العقارب أثناء

قيامنا بعمليات النظافة، ولأننا لا نملك قيمة الإيجار اضطررنا للإقامةعلى كل حال». سألتها عن خبراتها في المجال وما إذا كانت قد مرت بتجربة سابقة في مجال بيع الخشب أو التجارة والكد في طلب الرزق بهذه المشقة قالت: «لا مصدر دخل نعتاش عليه، لذا اضطررت. لا مجال للعمل إلا في غابات المسكيت بجمع الحطب».

وعندما طلبت منها أن تروي جدول يومها قالت: «في العادة نذهب عقب صلاة الصبح إلى غابات المسكيت عشان نجيب الحطب.. بنمشي مسافات طويلة من بيوتنا راجلين ونقطع الترعة.. نسير وأشعة الشمس تملأ المكان. لا ظل بخلاف شجيرات شوكية قصيرة. لا نرى غير السراب والأرض الجرداء. المسافة إلي غابات المسكيت تبلغ حوالي 5 كيلومترات، ويستغرق زمن الوصول إليها حوالي الساعتين.. نصل بعد عناء منهكين، فيجلس الكل وقد أخذ العطش والتعب منهم.. ليس ثمة مصدر للمياه.. يتوزع الجميع على أشجار المسكيت الشوكية الجافة ويبدأون في عمليات القطع الشاقة والطرق عليها وصولا إلى كسرها حتى تسقط.. لاحقا يقوم المحتطبون بالإمساك بالأغصان الجافة وتكسيرها ورميها في الأرض في شكل حزم متراصة».

رصدنا عملية التكسير الشاقة والمتعبة، ورغم ذلك لا تسقط كل الأشواك لانتشارها بصورة كبيرة، ما يجعل الكل عرضة للإصابة بشكل يومي. في العادة نسمع صرخات الأطفال المتوالية وهم يشكون ألم الشوك. رصدت إحدي المرافقات وكانت تحمل إبرة خياطة تحسباً لهذه اللحظة، وبالفعل سارعت لمساعدة أحد هؤلاء المصابين بمهارة. نزعت الأشواك من أصابع يديه بيد أنها تركت باقي المهمة للمسعفين المحترفين في المستشفى لحين الوصول إلى هناك، ثم نصحت الطفل المصاب: «تاني ما تقطع. أقعد هنا وبعد نرجع نغشى المستشفى عشان يطلعوا ليك باقي الشوك الما لقيتو». لم تنس في غمرة انشغالها بمهمة الاسعافات الأولية أن تروي لنا حكاية العم آدم. تقول بأسى: «مسكين والله. عندو سكري وكان بيجي الحطب كل يوم لغاية ما دخليت ليهو شوكة في رجله. اتسمم والدكاترة قطعوا ليهو رجله».

يستقبل مستشفى القرية (ستة) حوالي

20

حالة التهابية شهريا جراء الإصابة بأشواك المسكيت

رافقنا محمد إبان رحلة العودة إلى مستشفى القرية (6). تقول دكتورة هالة إبراهيم أحمد إنهم يستقبلون حوالي 20 حالة التهابية شهريا في المستشفى، إثر الإصابة بأشواك أشجار المسكيت، والتي تنجم عنها جروح متفاوتة خاصة وسط الأطفال.

وتسترسل هالة في حديثها لـ«أفق جديد»: «بعد استخراج الأشواك يأتي المصابون للغيار يوميًا. لدينا قرابة 6 ألف طفل بمرحلة الأساس من بين عدد السكان البالغ عددهم 32 ألف نسمة، وهم في ازدياد مضطرد منذ نكبة شرق الجزيرة».

من ملاحظات هالة التي دوّناها على لسانها قولها إنّ سوء الأوضاع الاقتصادية وارتفاع نسبة الفقر يدفع الكل لتناسي أضرار عمالة الأطفال. كثيرون هنا دون سن 15 عاما يدلفون إلى سوق العمل بمداخيله الشحيحة ومشاقه الجمة.

وشكت هالة من استغلال التجار والمزارعين للأطفال في الأعمال الشاقة ومنحهم أجوراً زهيدة جداً مقارنة بما يبذلونه من مجهود، قبل أن ترسل مناشدتها لمنظمات العون الإنساني برجاء مساعدة هؤلاء المحتاجين من قاطني قرى المناصير، وقالت إن أوضاع السكان بالقرية لا تجد التغطية الإعلامية الكافية لعكس أوضاع النازحين».

ثروات تُهرب.. ويجوع أصحابها

نـدى أبـو سـن

صورة مقربة

المقال يتناول الأزمة الإنسانية المتفاقمة في السودان نتيجة القتال المستمر، حيث يعاني السودانيون من الجوع والتشرد ونقص الغذاء والدواء. أكثر من 25 مليون سوداني يعانون من نقص الغذاء، وأكثر من 3 ملايين طفل يعانون من سوء التغذية. هناك تقارير عن مجاعة في معسكر زمزم للاجئين وولاية الجزيرة. كما يسلط المقال الضوء على الفساد والنهب الذي يتعرض له السودانيون، مع اتهامات ببيع الإغاثة المخصصة لهم في بورتسودان إلى تجار من دول الجوار. هناك اتهامات بضلوع مسؤولين في هذا الفساد.

زوايـا نظـر:

• الحرب أدت إلى تدمير البنى التحتية وقتل أكثر من 051 ألف شخص وتشريد أكثر من 03 مليون سوداني. الوضع الصحي يتدهور مع انتشار الأمراض مثل الكوليرا وداء العيون.

• المجتمع الدولي والإقليمي يتجاهل الوضع الإنساني في السودان، بينما تستمر الحرب ويزداد تعنت الجيش والدعم السريع في رفض التفاوض لإنهاء الأزمة.

• المقال يشير إلى تهريب ثروات السودان من الذهب والمحاصيل الزراعية خلال الحرب، مما يزيد من معاناة السودانيين الذين يحرمون من ثرواتهم.

بعد مرور أكثر من عشرين شهرا على اندلاع القتال في السودان وتفاقم الأزمة الانسانية وارتفاع معدلات الجوع والتشرد على السودانيين ما يزال طرفا القتال يصران على مواصلة حربهم القذرة وتجاهل ما يعيشة الشعب السوداني من معاناة ولم يكتفيا بتدمير البنى التحتية والدمار والخراب الذي طال كل شيء وقتل أكثر من مئة وخمسين ألف شخص في هذه الحرب وتشرد أكثر من ثلاثين مليون سوداني، حيث تقول الأمم المتحدة ان حياة السودانيين اضحت على المحك وان هناك حاجة عاجلة للمساعدة قبل فوات الأوان، كما تقول منظمات دولية ان اكثر من خمسة وعشرين مليون سوداني يعانون من نقص الغذاء،

كما يعاني أكثر من ثلاثة ملايين طفل من سوء التغذية، ووسط كل هذة الاوضاع يظل طرفا القتال لا يعبئان بمصير السودانيين الذين أجبرتهم الحرب على ترك منازلهم فاصبحوا نازحين ولاجئين في الداخل ودول الجوار بينما تتمدد الحرب في كل يوم حتى طالت معظم الولايات.

وتحذر المنظمات الدولية من الجوع في السودان بينما تنكر سلطات بورتسودان وجود مجاعة رغم الشهادات التي تتواتر وتؤكد ان بعض السودانيين يأكلون أوراق الأشجار حيث أعلنت المنظمات العاملة في دارفور ان مستويات الجوع بلغت حدا غير مسبوق وذكرت ان هناك مجاعة في معسكر زمزم للاجئين.

أما في ولاية الجزيرة فانعدم العلاج والمواد الغذائية وان توفرت فهي باهظة الثمن فاضحى المواطنون فريسة للجوع والفقر بعد ان حرموا من الإغاثة التي يتم بيعها في بورتسودان، حيث تحدثت مصادر لصحيفة التغير الالكترونية عن ضلوع موظفين ومسؤولين وسياسيين في بيع الإغاثة في بورتسودان إلى تجار من جنوب السودان وارتريا وإثيوبيا بواسطة اشخاص ينتمون إلى حركتي جبريل ابراهيم وزير المالية ومنى اركو مناوي حاكم اقليم دارفور. وهما اكبر الداعمين للحرب الآن لما يجنونه من ثروات من خلالها على حساب الضعفاء من ابناء الشعب السوداني، هذا بالاضافة إلى عمليات النهب التي تعرضت لها الإغاثة وهي في طريقها إلى مستحقيها حيث ذكرت المصادر ضلوع جبريل ابراهيم في هذا العمل الاجرامي، وكانت مصادر قد ذكرت ان الإغاثة شملت الخيام المجهزة بافضل الوسائل والامكانيات التي كان يمكن ان تخفف على المواطنين الازدحام وانعدام الخصوصية في مراكز الايواء التي تفتقر إلى ابسط الخدمات ولا يتلقى النازحون فيها أي نوع من العون الإنساني ذلك بالرغم من ان الإغاثة المنهوبة اشتملت على الطعام والدواء والكساء ولكن

بسبب الفاسدين يحرم المواطنون من حقوقهم بعد ان تم تشريدهم من بيوتهم وحرمانهم من مرتباتهم ومصادر دخلهم وزاد انتشار الامراض من معانتهم، حيث انتشرت الحميات والكوليرا وداء العيون الذي انتشر في الولاية الشمالية عقب السيول والأمطار.

ويعيش الآن نازحو ولاية الجزيرة في الشمالية في هذا البرد القارس في خيام ودون أي رعاية وخدمات من الجهات المعنية. وفي كل يوم يمر على هذه الحرب تتعقد أوضاع السودانيين في الداخل والخارج وتزداد معاناتهم ويتعرضون إلى المزيد من المخاطر خاصة مع تمدد رقعة القتال والمجاعة وانهيار الوضع الصحي، بينما يتعنت الجيش والدعم السريع ويرفضان الذهاب إلى عملية تفاوضية لانهاء الازمة،

كل هذا يحدث وسط تجاهل من المجتمع الدولي والإقليمي للوضع الإنساني السيء وغير المسبوق في العالم للسودانيين خاصة مع تطور الصراع في السودان إلى سباق دولي لتحقيق المصالح والاستئثار بثروات السودان التي تهرب إلى دول العالم دون رقيب في ظل هذه الأوضاع البائسة التي يعيشها الشعب السوداني الذي يحرم من ثرواته، حيث نشط خلال هذه الحرب نافذون من الكيزان في تهريب ثروات البلاد من الذهب والمحاصيل الزراعية، وموورست كافة انواع الفساد، كما تسربت مؤخرا مقاطع فيديو لعمليات بيع بنك السودان للعملة المستبدلة من المواطنين إلى تجار الكيزان واعادة استبدالها ليجنوا الأرباح الطائلة على حساب المواطنين المغلوبين على أمرهم الذين نهبت أموالهم خلال عملية استبدال العملة وظلوا يحرمون من أبسط حقوقهم من قبل قلة من اللصوص وأصحاب المصالح المتشابكة التي تستأثر بثروات البلاد وهم يشكلون سلسلة قوية مترابطة للحفاظ على ما نهبوه عبر الاستمرار في هذه الحرب القذرة التي اريد بها القضاء على ثورة ديسمبر المجيدة والهروب من العدالة والانتقام من المواطنين الذين اسقطوا نظامهم.

تستمر معاناة المواطن السوداني الذي قتل ونهب وقهر وانتهكت أعراضه من طرفي القتال دون يجد من يسانده أو يبكي عليه.

وحرب السودان هذه أظهرت جرائم الكيزان وكشفت المستور والمخفي منذ سنوات الانقاذ الاولى وفي كل يوم تتكشف للشعب السوداني حقائق جديدة تؤكد فساد وإجرام الحركة المسيلمية وسبب اصرارها على العودة الى السلطة مهما طالت معانته.

بضعة وعشرون حميدتي محتملاً

طاهر المعتصم

الصورة الكبيرة

استدعاء تاريخي لفترة تأسيس مليشيا الدعم السريع في عهد البشير وتأثيرها السلبي على السودان، وكيف أصبحت المليشيا أصبحت قنبلة موقوتة خلال الفترة الانتقالية، وإسهام القيادة العسكرية في تمددها. هناك دعم شعبي كبير للقوات المسلحة بسبب انتهاكات الجنجويد تجاه المواطنين.

نقاط جوهرية

- توالد عدد من المليشيات المساندة للجيش السوداني مسألة مثيرة للقلق.
- هناك تساؤلات ملحة ينبغي الالتفات لها حول كيفية دمج وتسريح هذه المليشيات بعد انتهاء الحرب.
- دمج هذه الأجسام شبه العسكرية مسألة ضرورية وحجر زاوية أصيل لتحقيق السلام وتوحيد السودان.

تظل قناعتي أن أسوأ منتج لنظام البشير في خلال عقوده الثلاثة، هو تأسيس مليشيا الدعم السريع، وجعلها تمثل عسكرياً في اليمن ضمن تحالف دعم الشرعية، مما جعلها قنبلة موقوتة خلال الفترة الانتقالية.

نعم أسهمت القيادة العسكرية خلال الفترة الانتقالية في تمدد قوات الدعم السريع، بل إلغاء المادة 5 الخاصة بتبعية الدعم السريع للقوات المسلحة خلال فترة المجلس العسكري من 11 ابريل 2019م إلى 17 أغسطس 2019م.

الدعم الشعبي الكبير للقوات المسلحة خلال الحرب، بسبب انتهاكات الجنجويد والفظائع المرتكبة تجاه المواطنين، التي عانا منها أهل دارفور قبل سنوات وكان هناك تعتيم إعلامي عليها من السلطات وقتها، وقرية تابت في شمال دارفور خلال 2014 شاهد على ذلك.

للأسف الشديد الآن نحن أمام توالد عدد من المليشيات المساندة للجيش السوداني، فاق عددها بضع وعشرين، بما فيها الحركات المسلحة الموقعة على اتفاقية سلام جوبا.

وما تسرب عن محاولة اتفاق جديد لـ 39 شهرًا، لتقاسم السلطة والثروة، بعد أن انتهت آجال اتفاقية سلام جوبا، وحديث الأمين داود عن سلاح الأورطة الشرقية، شاهد ودليل.

السؤال الذي أبحث عن إجابة له، وربما غيري كثيرون، الذين يأملون في سودان موحد ليس فيه طلقة واحدة، بعد انتهاء هذه الحرب، كيفيه الدمج والتسريح لهذا العدد الكبير، متجنبين أن تقوم جهة سياسية سودانية أو دولة باستخدام أي من هذه المليشيات فنكون كأنك يا «أبوزيد ما غزيت».

آخر قولي إن دمج كل هذه الأجسام شبه العسكرية يماثل في الأهمية إيقاف وإنهاء الحرب المدمرة وأن يعم السلام ويصبح هناك جيش وطني واحد وسودان موحد .

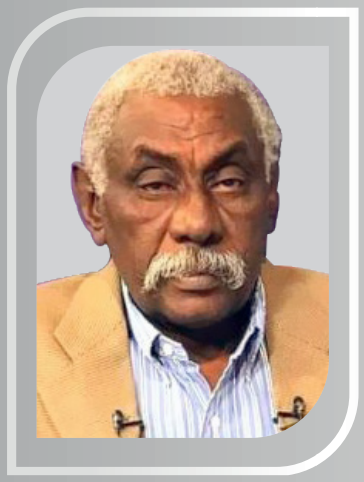

سؤال المبتدأ، جواب الخبر؟! «المجاعة»، محض إفتراء، أم مجرد شظف عيش؟!

الجميل الفاضل

الصورة الكبيرة

المجاعة تضرب بقوة، كواحدة من الآثار الكارثية التي تسببت فيها الحرب المستمرة لأكثر من عشرين شهراً، واللجان الدولية تحذر من توسع رقعة خارطة الجوع في مايو المقبل إذا لم تتخذ تدابير فورية. يقف الناس في صفوف طويلة للحصول على وجبات ضئيلة من التكايا، وكيف أصبحت الحرب تؤثر على كرامتهم وأمنهم الغذائي.

خلاصات

- استمرار الحرب بالإضافة إلى السياسات الحكومية المعززة للانقسامات ستفاقم أزمة المجاعة، والتحديات التي تواجهها المناطق الزراعية بسبب العمليات العسكرية ستؤدي لحرمان المزارعين من حصاد محاصيلهم وتزيد من تعقيد الوضع.
- المجاعة ليست مجرد شظف عيش، بل هي أزمة حقيقية تتطلب تدخلات عاجلة.
- من لا يملك قوته، لا يملك كرامته ولا قراره، مهما امتلك السلاح.

ما القصة؟
فالناس صرعي من هول الذل!!

إصطفت «البستلات»، و«الجكوك»، وصغيرات الأواني، من كل صنف ولون، تزح زحا، نحو دنان مطاهي، تسمي «التكايا»، ملأ بعضها عدسا، وشيئا من «بليلة» في آخر، هو إدام بلا خبز، لا يكفي وجبة واحدة لأسرة صغيرة، ينتظره المصطفون لساعات طوال، رغم غياب الخبز، الذي ثمنه شاعر المنافي محمود درويش بقوله:

«إنا نحب الورد لكنا نحب الخبز أكثر.
ونحب عطر الورد لكن السنابل منه أطهر».

علي أية حال، يظل الناس هنا صرعي، وماهم بصرعي، زائغة عيونهم في ذهول، من هول ذل، يحلق فوق رؤوسهم المطرقات، كأنما حط عليها طير، بفعل حرب قيل لهم: أنها ما شبت إلا لأجل «الكرامة»، كرامتهم.

أنها كرامة، يزعم «البلابسة» الأشرار، أن هذه الحرب ستمنحها للناس بيمينها القوية، «فتكا» و«متكا»، قبل أن يتفاجأ الجميع بأن «الجوع» قادر بصفوف طعامه المهينة، أن يسلبها لهم بين غمضة عين عن شر الحرب، وإنتباهتها علي صوت جوع يصدر من غور سحيق، من كل جوف خاوي.

هذا بالطبع في الحضر، حيث «غرف الطوارئ» ذات التكايا، فما بالك بجوع من الدرجة الرابعة أو الخامسة، يبحث لإيجاد مخرج منه، مجلس الأمن الدولي اليوم الاثنين، جوع أضطر الناس في معسكرات النزوح بدارفور، لمشاركة الحيوان نوع غذائه، وفي قري وبوادي أخري يأكل الآن أهلها أوراق الشجر.

لتبقي حقيقة واحدة هي: أن من لا يملك قوته، لا يملك كرامته، ولا قراره، وإن إمتلك السلاح.

والي أين سيركض هذا الشبح القادم؟
لجان دولية تقرع ناقوس الخطر!!

تقطع لجنة دولية أن خمسة علي الأقل من مناطق السودان، تقع الآن بالفعل في نطاق المجاعة، التي تقول ذات اللجنة أنها ستتمدد خلال شهر مايو المقبل لتشمل (17) منطقة أخري، مالم تتخذ تدابير فورية لتقديم الغذاء الكافي، بصورة عاجلة ومستدامة لسكانها.

وكيف تحل بالناس المسغبة؟
يقولون: إستمرار الحرب يوسع رقعة المجاعة!!

يعد إستمرار الحرب لنحو واحد وعشرين شهرا، وإتساع نطاقها المحتمل في ظل تصاعد حالة الإستقطاب الإثني والمناطقي الحاد، وإرتفاع وتيرة خطاب الكراهية العنصري بين المكونات السودانية، التي باتت تعاني تهتكا وتمزقا متناميا يوما بعد يوم، في نسيجها الاجتماعي، وبشكل شبه ممنهج، نتيجة للسياسات التي كرست لواقع الإنقسام، من خلال إجراءات الإستبدال الجزئي للعملة ببعض مناطق البلاد، وحرمان عشرات آلاف الطلاب من حق الجلوس لإمتحانات الش هادة السودانية، الأمر الذي أنتج غبنا لا يخفي، ربما رشح هو الحرب لدخول مناطق لم تدخلها من قبل، كرد فعل يأتي علي كل ذلك، فضلا عن شبهة إستهداف الطيران الحربي، لما يعرف بمناطق حواضن الدعم السريع، إضافة لما ينظر اليه كشكل من أشكال العقاب التعسفي الجماعي، المطبق جزافا بمناطق سيطرة الجيش، علي المشكوك في تعاونهم مع العدو، تحت طائلة ما عرف بقانون «الوجوه الغريبة».

عليه فإن تقارير المنظمات الدولية تشير الي أن دخول العمليات العسكرية الي مناطق الإنتاج الزراعي قد أدي في ولايتي الجزيرة وسنار، لحرمان المزارعين من حصاد محاصيلهم الغذائية، وبالتالي فإن خروج مناطق أخري من دائرة الإنتاج بدخول العمليات الحربية إليها، سيؤدي لإطلالة شبح المجاعة علي مزيد من السكان، في مناطق أخري بالبلاد، تقدرهم المنظمات بنحو خمس وعشرين مليونا.

لكن «المجاعة»، لما ينكرون وجودها؟
فهناك ما ينبغي أن يحذره «أشقي ثمود»!!

عرف السودان دائما المجاعات تأتي في زمن الديكتاتوريات والعهود الشمولية، وكعادتها تذهب مثل هذه الأنظمة والدول البوليسية لإحاطة كافة أمورها بالسرية والكتمان، خشية من أعين الصحافة الفضولة، ومن الأنوف الطويلة، لوكالات الأمم المتحدة، والمنظمات الدولية المعنية، بالحروب، والأمراض، والمجاعات، وبكل ما يتصل بحقوق الإنسان، تلك المنظمات التي تمهد بالضرورة لتدخلات ما يسمي بالمجتمع الدولي، الذي هو شر غائب ينتظر في عرف مثل هذه الحكومات، الحريصة علي ستر عوراتها الكثيرة والكبيرة، وعلي الإستفراد بشعوبها المغلوبة علي أمرها بعيدا عن تطفل ومراقبة الآخرين.

ويقول التاريخ في السودان: أن مثل هذه الأنظمة، لا تعلن في العادة عن بلادها مناطق كوارث، أو طؤاري، مهما كان سوء الوضع، والأحوال، والمنقلب.

لكن تاريخ هذه البلاد نفسه يقول أيضا: أن كل المجاعات التي حلت بالسودان لم تذهب الا ومعها في رحلة إيابها، ذات النظام المكابر الذي رفض الإعتراف بها أول مرة، أو تلكأ علي الأقل في أن يعينه المجتمع الدولي عليها.

إذن فليتعظ ويحذر رئيس الأمر الواقع، الذي إعتبر أن هذه المجاعة «محض افتراء»، ووزير إعلامه الذي وصفها تقليلا من شأنها كقدر كبير، بأنها مجرد «شظف عيش».

فإن الحكمة الإلهية ظلت تقضي في تاريخ السودان، بمثلما قضت علي إمرأة حميرية، رمي بها جوع هرة، لم تطعمها، ولم تتركها، لتأكل من خشاش الأرض، في النار.

لكن تري الي أي جحيم سيقذف جوع ملايين وشيك، يطارد شبحه بسرعة البرق، أطفالا صغارا، ونساءا ضعافا، وشيوخا أكل عليهم الدهر وشرب، من سمر البشر، «اصل البشرية» الأول، بشقي، إنبعث فيهم كإنبعاث «أشقي ثمود»، إذ كان في هذه المدينة أيضا، في آخر عهد «إخواني» مندثر، تسعة رهط يفسدون في الأرض، ولا يصلحون، «فنادوا صاحبهم فتعاطى، فعقر»، ليشقي هو من بعد أهل هذه الديار، بحرب أسماها هو بعظمة لسانه، «حربا عبثية»، رغم أنها في الحقيقة حرب من نوع لا يبقي ولا يذر، تبعها جوع أحال من فرط جنوحه نعيم حياتهم الي كدر، بل ترافق بأمراض شتي سرت بينهم كسريان النار في هَشِيمِ مُحْتَظِرِ.

انفوغراف

الكوليرا وتاريخها الطويل في السودان

فاشية 2017

أودت بحياة ما يقرب من 700 شخص، وإصابة 22 ألف شخص في شهرين

في عامي 2019 2020

تسببت الأمطار الغزيرة والفيضانات في تلوث إمدادات المياه، مما أدى إلى ظهور مئات الحالات في عدة ولايات

أغسطس 2024

أُعلن عن تفشي وباء الكوليرا في ولايات القضارف وكسلا ونهر النيل

16 ديسمبر 2024

تم الإبلاغ عن أكثر من *47365* حالة في *81* منطقة

مع ما يقرب من **1235** ضحية

11 ولاية من ولايات السودان ال 18

ومعدل وفيات **2.6** في المئة

لم ترد أي تقارير عن الكوليرا وفقًا للإدارة العامة للطوارئ الصحية ومكافحة الأوبئة من ولايات النيل الأزرق ووسط وشرق وغرب دارفور نتيجة لعدم وجود شبكة مع توافر شبكة محدودة تؤثر أيضًا على الإبلاغ في 8 ولايات أخرى

الحكومةُ الموازيةُ هي بدايةُ المخرج

النـور حمـد

الصورة الكبيرة

إثر فقدانهم السيطرة على الخرطوم فإن انتقال محازبي الإسلام السياسي إلى بورتسودان يرمز إلى ضعفهم المعنوي واقتراب نهايتهم، مثلما أنّ الحرب التي أشعلوها فارقت خيالهم بأن تكون قصيرة وخاطفة، بيد أنها استمرت لفترة أطول مما توقعوا.

خلاصات

- تشكيل حكومة موازية في المناطق التي تسيطر عليها قوات الدعم السريع هو الحل الوحيد المتبقي لإيقاف الحرب وفرض السلام.
- القوى السياسية التي تحاول التفاوض مع تيار الإسلام السياسي غير واقعية.
- أنصار الإسلام السيـسي لـن يقبلـوا إلا بحل يبقيهم في السلطة.

منذ أن فقد الكيزان وجيشهم غير الوطني، وغير المهني، المؤدلج، ومليشياتهم، السيطرة على المقار الحكومية في الخرطوم، وهروبهم إلى بورتسودان في أقصى الشمال الشرقي من البلاد، متخذين منها عاصمة بديلة، بدا لي، بوضوح شديد، أن في الأمر رمزية. أعني، رمزيةً تشير إلى أن تماسكهم المعنوي قد تضعضع، وأن أوان ذهابهم قد أوشك. وقد يطول الوقت، وقد يقصر، لذهابهم النهائي، وفقًا لعواملَ ومتغيراتٍ كثيرةٍ، لكنهم حتمًا ذاهبون، في نهاية الأمر. فمثل هذا الشر المستطير مصيره الزوال. وكما قال ملك ملوك الحكمة في الشعر العربي، أبو الطيب المتنبي: «أين الأكاسرةُ الجبابرةُ الأُلَى، كنزوا الكنوزَ، فما بَقِينَ، ولا بَقُوا / مِنْ كلِّ من ضَاقَ الفضاءُ بجيشِهِ حتَّى ثَوَى فحَوَاهُ لَحْدٌ ضيِّقُ / فالموتُ آتٍ والنفوسُ نفائسٌ والمُسْتَعِزُّ بما لديهِ الأحمَقُ».

لقد كان هروبهم إلى ذلك الطرف القصي من البلاد، الذي تفصل بينه وبين بقية البلاد سلسلةٌ جبليةٌ ليس فيها سوى معبرٍ واحدٍ يسمى العقبة، جرى نحته في قمة الجبل، أمرًا له مغزاه، فهم لم يختاروا بورتسودان عشوائيًا. فلقد كان في وسعهم اختيار عطبرة، وهي تقع حيث الحاضنة الشعبية للكثير من قيادات الجيش والكيزان، أو مدني التي لم يكونوا قد فقدوها بعد، أو كوستي. لكنهم اختاروا بورتسودان لأنهم كانوا يبحثون عن أكثر المواقع تحصينًا من الناحية الجغرافية، التي يسهُل الدفاع عنها، مثلما يسهُل الهروب منها، حين يصبح الهروب خيارًا لا مندوحة منه.

لقد استطال أمد الحرب الغادرة التي أشعلوها، والتي قدَّروا لنهايتها بضع ساعاتٍ، ثم بضعة أيامٍ، ثم بضعة أسابيع، ثم ما لبث أن أمتد نهايتها منفتحًا على المجهول. وها هي الحرب توشك، الآن، أن تكمل عامها الثاني ولم يظهر في الأفق، ما يشير إلى نهايتها. وما أن بدأ الحديث عن نية بعض القوى المدنية والعسكرية تشكيل حكومة موازية لحكومة بورتسودان اللاشرعية، في الأراضي التي تسيطر عليها قوات الدعم السريع، هاجت الحيَّةُ الإعلاميةُ الكيزانيةُ ذات الألف رأس. وآذرتها في ذلك بعض القوى السياسية المحسوبة على الثورة، التي لوت ذراعها جهاتٌ خارجية. طفق هذان الحليفان اللَّذان يجمع بينهما حلفٌ غامضٌ غير مكتوب، يتباكيان على وحدة البلاد، مطلقين صراخًا ومظهرين جزعًا مختلقاً من خطر التقسيم.

يعلم جميع السودانيين ماذا فعل الكيزان، حين قرروا فصل الجنوب. فهم لم يستشيروا أحدًا من القوى السياسية، ولم يأبهوا برأي أحدٍ قط. وإنما مسحوا وجوههم بمَرَق اللاحياء المتوفر لديهم، وقاموا بفصله والشمس في كبد السماء، والناس قيامٌ ينظرون. بل شرعوا في تزيين ذلك الفعل بأن قالوا: إن الاقتصاد سيصبح أفضلَ حالاً، بسبب توقف الصرف على الحرب التي أنهكت الخزينة، وإن «الشريعة المدغمسة» ستذهب مع فصل الجنوب، لتأتي بعدها الشريعة الصريحة النظيفة. لكن، ما أن حدث الانفصال، فقدت البلاد ثلثي عائداتها من النفط. ودخلت في ضائقةٍ اقتصاديةٍ فجائيةٍ حادةٍ، ظلت تتفاقم حتى يومنا هذا. كما لم ير أحدٌ منا تطبيقًا للشريعة؛ سواءً «المدغمسة» التي أطلق عليها التسمية المخلوع عمر البشير، ولا غير «المدغمسة» التي وعدنا بها. وهكذا هم الكيزان، أفَّاكون محترفون، يَلبسون لكلِّ حالةٍ لُبُوسَها، ويزيِّنون الباطل حين يرون أن تزيينه يخدمهم. ويُشينون الحق، حين يرون في إحقاقه تهديدًا لمصالحهم الدنيوية الفجة الضحلة. فالحق والكيزان ظلا يقفان على الدوام، على طرفيْ نقيض، وسيبقيان هكذا.

فئة الحالمين في الجسم المدني.

القوى المدنية التي آرزت الثورة قسمان: قسمٌ ثوريٌّ حقيقيٌّ يريد للثورة أن تبلغ أهدافها التي من أجلها قامت، ومن أجلها استشهد شهداؤها وشهيداتها. وقسمٌ آخر يرى أن من الذكاء والحصافة أن يقوم بتوزيع البيض بين سلَّة الثورة وسلة الكيزان. وهذا ليس جديدًا،

فما من ثورةٍ من الثورات، عبر التاريخ، إلا وكانت منقسمة الصف. ففي كل جسمٍ عريضٍ ساند أي ثورةً من الثورات، هناك جزءٌ منه له، بالضرورة، ارتباطاتٌ عضويةٌ بالنظام المراد اقتلاعه. هذا القسم ذو الموقف المائع يتحرك وعينه على المعسكرين المتصارعين، لأن ارتباطه الوثيق بمصالحه يجعله ينأى بنفسه من المغامرة. فهو يريد أن يكسب في الحالتين.

لقد حكمنا الكيزان لستةٍ وثلاثين عامًا، حتى الآن. والسبب هو أنهم يحدِّدون هدفهم بوضوح، كما قال عبد الوهاب الأفندي، ويتجهون إليه مباشرة، ولا يلتفتون إلى ما يقوله الناس عنهم. بل، ويسحقون من يقف في طريقهم، بلا رحمة. لم يكترث الكيزان طيلة هذه العقود بالشعب السوداني؛ مات أو عاش، أو ماذا يريد. ولا بالقوى الإقليمية والدولية، وماذا ترى أو تريد. ورغم ذلك، بقوا في السلطة، على الأقل، في كثيرٍ من أجزاء السودان، حتى الآن. أما القوى السياسية التي ظلت تعارضهم فقد كانت بائسة الأداء بسبب انغماسها في تكبيل نفسها، برسم خطوطٍ حمراء ظلت تحد من مدى فاعليتها. لكن، إذا نظرنا إلى الكيزان، واسترجعنا حديثهم عن مثلث حمدي، ثم قيامهم عن قصدٍ بفصل الجنوب، ثم الترويج عالي الصوت، هذه الأيام، لما تُسمى «دولة النهر والبحر»، لاتضح لنا الفرق بينهم وبين غيرهم. فالآن، فقد شرع الكيزان، بالفعل، في تقسيم البلاد بطباعة عملةٍ لجزء منها، وإجراء امتحانات الشهادة في ست ولايات فقط، ومنع وصول الإغاثة إلى المناطق التي لا يسيطرون عليها. وكذلك، منع أهل تلك المناطق من استخراج الوثائق الثبوتية. مثل هذا الصلف وهذه الرعونة لا يجدي معها سوى قلب الطاولة عليها، مرَّةً واحدة. وهذا ما شرعت فيه بعض القوى المدنية والعسكرية، التي تتجه الآن لإعلان حكومتها الموازية.

من ينادون بوقف الحرب بناءً على حلٍّ متفاوضٍ عليه مع الكيزان، يكفل للثورة تحقيق كامل أهدافها، كما أرادها الثوار، إنما يحلمون، لا أكثر. فالكيزان لن يقبلوا إلا حلًّا يبقيهم في السلطة. ولربما يقبلون في البداية بوجودٍ جزئيٍّ في السلطة، لكنهم لن يفعلوا ذلك إلا ولديهم خطة جاهزة لكي تصبح السلطة كاملةً في أيديهم، وحدهم، ولو بعد حين. فهم سوف ينقلبون على الاتفاق مثلما فعلوا مع الاتفاق المدني العسكري الذي نصت عليه الوثيقة الدستورية. الكيزان لا يتسوَّلون الحلول لدى المجتمعين الإقليمي والدولي، مثلما تفعل ذلك القوى السياسية المدنية، وإنما يعملون على فرض إرادتهم على الجميع وابتزازهم بمختلف الأساليب حتى يصلوا إلى ما يريدون. ومن المدهش حقًّا، أن تنسيقية تقدم التي لم تُدع قط لأي جولةٍ من جولات المفاوضاتٍ التي جرت حتى الآن، لا يزال قطاعٌ منها يتسوَّل وقف الحرب راجيًا أن يعود إليه المسار المدني الديمقراطي من القوى الدولية والإقليمية، على طبقٍ من الفضة.

خلاصة القول، إعلان الحكومة الموازية في الأراضي التي تسيطر عليها قوات الدعم السريع هو الفرصة الوحيدة المتبقية لنزع زمام المبادرة من القوى الكيزانية. وهو الذي سيعجِّل بإيقاف الحرب وفرض خيار السلام. الحراك المدني الذي لا شوكة له، ولا أسنان، الذي ينتظر أن ينتزع الحقوق من قوةٍ شرسةٍ وديناميكيةٍ لا تبالي بشيءٍ، كقوة الكيزان، عن طريق الهتاف والمناشدة، حراكٌ حالم. فهو بهذا الوضع لا يعدوا كونه حراكًا هامشيًا، وظاهرةً صوتيةً غير مؤثرةٍ، لا يأبه بها أحد. فليوحِّد من يقفون في صف الثورة بندقيتهم، وقواهم السياسية في بنية واحدة متماسكةٍ متعاضدة، ثم يعلنوا حكومتهم على رؤوس الأشهاد، بلا مواربة. وسيرون، حينها، كيف سيمنحهم المجتمعان الدولي والإقليمي وزنًا لم يسبق له أن منحهم إياه. من ينتظر من الكيزان أن يكونوا عقلاء، أو متعاطفين مع الناس في عذاباتهم، وبلواهم، وتشردهم، وجوعهم، أو مبالين بدمار البلاد وهلاك العباد، هو شخصٌ غير عاقل.

المبادرة التركية.. والمصالح المتضاربة

وائـل محجـوب

الصورة الكبيرة

تحليل يتناول مبادرة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان للتوسط بين السودان والإمارات، الرامية لإصلاح علاقات البلدين ومعالجة قضية الحرب في السودان. فعلى الرغم من ترحيب السودان والإمارات بالمبادرة، إلا أن هناك تشكيكا في نجاحها، نظرًا لتشعب الحرب واختلاف مصالح الأطراف المتورطة فيها. تشير اتجاهات التناول إلى أن الحرب في السودان أصبحت هدفًا لمجموعات مختلفة تسعى لتحقيق مصالحها السياسية والاقتصادية من خلالها، سواء كانت تلك المجموعات تعمل مع القوات المسلحة أو مع الدعم السريع.

خلاصـات:

- هناك اتفاق على أن إيقاف الحرب يتطلب إرادة داخلية سودانية موحدة أو دعمًا خارجيًا قويًا ومحدد الأهداف.
- جماعات المؤتمر الوطني أسهمت في إفشال محاولات سابقة لحل النزاع، مثل مبادرة جدة، التي تعرضت للتخريب من قبل الحركة الإسلامية.
- الحركات المسلحة التي انحازت للقتال مع الجيش تسعى أيضًا لتحقيق مكاسب سياسية إضافية، مما يعقد الوضع أكثر.
- الحل الوحيد لإيقاف الحرب وتحقيق الاستقرار في السودان يكمن في وحدة الإرادة الداخلية السودانية أو دعم خارجي جاد وفعال.

● شرع نائب وزير الخارجية التركي برهان الدين دوران ووفده المرافق في مباحثات ببورتسودان شملت وزير الخارجية ورئيس مجلس سيادة حكومة 25 أكتوبر والقائد العام للقوات المسلحة، في أول تحرك جدي بعد إعلان مبادرة الرئيس التركي رجب طيب اردوغان التي طرح من خلالها التوسط بين السودان والإمارات لإصلاح علاقات البلدين، كمدخل لمعالجة قضية الحرب المتطاولة في البلاد.

● هذه المبادرة التي وجدت ترحيبا من السودان والإمارات، لن تكون أفضل من التحركات الإقليمية والدولية السابقة، التي ارتطمت برفض داخلي له صلة بشركاء الحرب، فآخر محاولة لإحياء منبر جدة تولى إفشالها وزير المعادن عن إحدى حركات الكفاح المسلح محمد بشير أبو نمو، بينما كل ما سبقها وتلاها تصدت لها مجموعات تنتمي للمؤتمر الوطني والحركة الإسلامية إعلاميا، وخربتها قبل أن تمضي خطوة إلى الأمام.

● لقد تشعبت الحرب وصارت هدفا لمجموعات مختلفة، اجتمعت مصلحتها على استمرارها سياسيا بل واقتصاديا كذلك، وقد حذرنا من قبل أن تطاول أمد الحرب يعقد الأوضاع، وأن القوى التي ستدخل ساحتها سرعان ما ستعمل على تحقيق مصالحها من خلالها، وقد وصلت هذه الحرب ذلك المنعطف، ولعل ما أسهم في ذلك الوضع هو طريقة إدارة الحرب التي سمحت لمختلف المليشيات والجماعات بحمل السلاح بالتنسيق مع القوات المسلحة، بينما كان الأولى أن تتم إدارة كامل العملية بواسطة القوات المسلحة بدءا بفتح باب التطوع والتجنيد والتنسيب لها، وتتحكم بذلك في كامل مسار العملية ابتداء من التجنيد ومرورا بالتدريب والتأهيل وانتهاء بالتسليح والخضوع المؤسسي.

● وعلى الجانب الآخر فإن مجموعات المليشيات التي انحازت للدعم السريع أيضا لها مصلحة في استمرار الحرب، فهي تضمن استمرار التمدد لمناطق جديدة وغنائم جديدة للحرب، ولذلك ما أن يتم تجفيف منطقة ما إلا وتزحف المجموعات المختلفة نحو منطقة أخرى فلا تترك للمواطنين حتى مؤنتهم من المحاصيل، ناهيك عن أموالهم وسياراتهم وحاصداتهم ومواشيهم.

● هذه الحرب وصلت مرحلة لا يمكن إيقافها إلا بإرادة داخلية سودانية موحدة، أو بإرادة أعلى من قبل قوى تدرك جميع الأطراف خطرها وأثرها عليهم، سواء أكانت إقليمية أو دولية، وهذا لن يحدث ما لم تكن المبادرة التركية هي واجهة لتحرك يجد دعما واسنادا من المجتمعين الإقليمي والدولي، ويحمل رسالة واضحة في طياته.

● لقد تم إفشال مختلف التحركات الخارجية السابقة عبر تعبئة سياسية واسعة النطاق، من داخل ميادين القتال وعلى مختلف وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، ومعلوم ما هي الجهات التي تتبنى هذا النهج، وعلى رأسها جماعات المؤتمر الوطني والحركة الإسلامية، التي اتخذت هذه الحرب سلما ترتقي عبره للسلطة من جديد.

● وكان من الواضح إنها قادرة على فرض إرادتها حتى على قيادة الجيش، التي توافق على المبادرات وتتهرب منها تحت الضغوط التي تواجهها، مثلما حدث لاتفاقية المنامة ولمبادرة جدة نفسها، وآخرها اجتماعات جنيف حول الوضع الإنساني، ولن يكون مصير هذه المبادرة بأفضل من سابقاتها، على الرغم من صلة تركيا المعلومة بأطراف من قيادات المؤتمر الوطني والحركة الإسلامية، الذين يصطرعون حاليا سياسيا وتنظيميا ويتنازعون على القيادة والسيطرة على مقاليد الأمور، فما يتوحدون حوله جميعا هي السلطة، ولا تملك الأطراف المتصارعة سبيلا لها بغير الحرب واستمرارها.

● وبطبيعة الحال فإن الحركات المسلحة التي انحازت للقتال مع الجيش قد باتت أكثر تطلعا لتحقيق المزيد من المكاسب، وهي لا تتردد في إعلان ذلك، وتفاوض لنيل المزيد من حصص السلطة، استنادا للواقع الذي ازدادت فيه أهمية قواتها التي تقاتل جنبا إلى جنب القوات المسلحة، وهي ترى أن هذه هي لحظة فرض مطالبهم وانتزاعها، لذلك لم يكن مستغربا ما تسرب عن مطالب بمنصب نائب ثان لرئيس المجلس السيادي، والمزيد من الحصص في الحكم، وتشكيل مجلس للدفاع والأمن يضم قادة هذه الحركات وقادة القوات النظامية وأصحاب المناصب السيادية بالدولة، مع تعديل الوثيقة الدستورية بما يضمن بدء مرحلة انتقالية جديدة لتسعة وثلاثين شهرا جديدة، وسط نيران الحرب وقبل تحرير الأرض حتى، فذلك هو الهدف الحقيقي لكل أطراف هذه الحرب المدمرة، السلطة ولا غيرها.

تركيا النظر من الأعلى

شوقي عبدالعظيم

زاوية رئيسية

التحليل يتناول المبادرة التركية لوقف الحرب في السودان، مشيرًا إلى أن السياسة التركية تعتمد على قدرات استخباراتية متقدمة وموقع جيوسياسي حساس. المبادرة تهدف إلى إعادة العلاقة بين الجيش السوداني ودولة الإمارات، مما قد يسهم في إيقاف الحرب.

بعين الاعتبار

• البرهان رحب بالمبادرة، ولكن هناك مقاومة من بعض الأطراف داخل السودان.

• ومع ذلك، هناك تحديات تواجه المبادرة، خاصة من قبل الحركة الإسلامية التي لا ترغب في تسوية تنهي الحرب قبل تحقيق أهدافها السياسية.

قبل الخوض في المبادرة التركية من المهم أن نضع في الاعتبار أن لا شيء في عالم السياسة متروك للصدفة، وأن نضع في الاعتبار أيضًا سياسة تركيا الخارجية التي تستند على قدرات استخباراتية متقدمة فرضها موقعها الجيوسياسي المتاخم للمناطق الملتهبة في الشرق الأوسط والعالم، وآخر ما يجب وضعه في الاعتبار أن إدارة أمريكية قديمة جديدة تتشكل، والمفارقة أن معظم الفاعلين في الشرق الأوسط وتركيا عاصروا فترة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الأولى بما فيهم طرفا النزاع في السودان.

أما المبادرة التركية قطعا اتخذت مسارًا جديدًا بعد أن سدت مسارات جميع المبادرات بلا استثناء ويمكن اختصار وجهتها في أنها تتحرك نحو إعادة العلاقة بين قيادة الجيش السوداني ودولة الإمارات، وهذا المسار للذي ينظر من الأعلى سيرى تأثيره في إيقاف الحرب بعد الاعتراف الصريح بعلاقة الإمارات بالدعم السريع وأنها ستقوده بلا عناء إلى طاولة المفاوضات وهذا يجعل طريق المبادرة التركية أقصر الطرق وأكثرها مباشرة وشفافية مثل النجار الذي يطرق المسمار على رأسه.

ولكن السؤال الأهم هل ستنجح المبادرة التركية في وقف الحرب وتمضي بالسودان إلى مرحلة جديدة اعتمادًا على ما رشح ووافق عليها قائد الجيش الفريق أول عبدالفتاح البرهان وخرج وزير الخارجية المكلف مبشرًا بها ومن الواضح أن تركيا أحسنت التنسيق مع الطرف الثاني وهو دولة الإمارات هذه المرة وليس الدعم السريع على الأقل حتى هذه اللحظة غير أن الطرف الثالث والأهم وعلى طريقة النجار والمسمار علي كرتي وأحمد هارون ومن معهم في الحركة الإسلامية لا يرغب فيها أو لا يرغب في تسوية تنهي الحرب قبل أن يحقق أهدافه السياسية من هذه الحرب، ورأينا كيف خرج عليها جنودهم في الميديا محذرين البرهان والجيش من المضي فيها وبدأوا طرح السؤال «وماذا عن عهدنا مع الشهداء بالقضاء على الدعم السريع؟».

الإجابة الأكثر وضوحًا عن السؤال لا يمكن أن تمضي المبادرة إلى الأمام والحركة الإسلامية لم تحقق هدفها من الحرب ولا تزال تحشد الشباب والسودانيين مع الحرب.

البرهان رحب بالمبادرة التركية مثلما رحب بمبادرات قبلها وربما بدأ الترتيب لها قبل هبوط الطائرة التركية في بورتسودان وهذا يفسر الهجمة الشرسة على عودة وزير الداخلية السابق عنان لأن قائد الجيش قدر أنه لن يخطو خطوة جريئة قبل أن يحصن نفسه من الذين هم في مكتبه على حد قول الشيخ عبدالحي يوسف.

المبادرة التركية جريئة وشفافة وذكية والبرهان والجيش في حاجة ماسة لها وقبلهم السودان وأهله غير أن علي كرتي ورهطه إيمانهم في العودة للسلطة بالحرب لمّ يتزحزح.

بين الألم والأمل.. عام مضى وعام أتى

حيدر المكاشفي

الصورة الكبيرة

قراءات حول الذكرى 69 لاستقلال السودان، التي تزامنت مع بداية العام الجديد 2025، ومحاولة لوصف الوضع الحالي للشعب السوداني الذي يعيش بين الألم والأمل، ويكابد تبعات الحرب المستمرة، ولكنه يتمسك بالأمل في مستقبل أفضل ويواصل الصبر والتحمل. يقاسي السودانيون أوضاعاً كارثية جراء المعارك؛ بما في ذلك الجرائم ضد الإنسانية، النزوح الواسع، انهيار نظام الرعاية الصحية، والانقسامات العرقية والقبلية، وبالضرورة ثمة تأثير للحرب على النساء والفتيات، حيث تعرضن للعنف الجنسي وسط حالة من الفوضى والإفلات من العقاب.

نقاط جوهرية

• رغم كل هذه المعاناة، بالإمكان تحويل المحنة إلى منحة، والعمل على تحقيق الأمل من خلال الجهود المشتركة والتماسك.

• وقف الحرب أولوية قصوى، وقدرة الشعب السوداني على الصمود كفيلة بالتغلب على المصاعب.

مرت علينا يوم الأربعاء الموافق الفاتح من يناير 2025 الذكرى 69 للاستقلال، متزامنة مع استهلالية العام الجديد 2025 والشعب السوداني ما يزال في وضع (برزخي)، يكابد فيه الألم ولكنه يتصبر بالأمل، فلا شيء يجعل هذا الشعب يحتمل في صمت وجلد وصبر كل ما يلاقيه من كبد ونصب ومعاناة سببتها له الحرب اللعينة، سوى أمله في القادم وتمسكه بثورته التي ما يزال يعض عليها بالنواجذ لتحقيق وإنجاز كل أهدافه التي فجر ثورته من أجلها، والصبر خصيصة معروفة عند الشعب السوداني، إذ تجده يمد حبال الصبر ويحتمل الأذى لأطول مدى حتى تحسب أنه صار ذليلًا خامدًا هامدًا خاملًا خانعًا، ولكن في لحظة ما ينفجر ويثور كالبركان فيجرف في طريقه كل فاجر وفاسد وخوان، وقد فعلها الشعب كثيرًا ولا نظن أن احتماله أذى هذه الحرب المدمرة سيكون آخرها، وبالمقابل سوف لن ينسى الشعب ثورته الغالية التي أنجبها من بين فرث ودم وتضحيات جسام.

الأمل هو طوق النجاة الأخير الذي يتمسك به الناس ويستعينون به على معاناتهم، وما أضيق العيش لولا فسحة الأمل، فلولا تشبثهم بالأمل وعشمهم في غد أفضل لما صبروا وصابروا واحتملوا فوق طاقتهم مآسي وفواجع هذه الحرب اللعينة، فهم يعيشون اليوم بين نور الأمل المنتظر وحلكة حاضر الحرب المعيش، وتتأرجح حالتهم النفسية بين متضادين، مخاوف متزايدة ورجاء متعاظم، وأكثر ما يحتاجونه هو التماسك والتوازن في هذه الفترة الحرجة، ولا مغيث ومعين لهم في هذه الحالة سوى الأمل الذي يزودهم بجرعات من التفاؤل والطاقة الإيجابية، فالأمل لا ينبغي أن يبنى على أوهام بل على وقائع وحقائق وعمل دؤوب يسنده ويجعل تحقيقه ممكنا، فالأمل دون عمل لا يزيل الألم بل يضاعفه، فالإنسان لا يتمسك بحبل الصبر في لياليه الحالكة إلا لانتظار بزوغ فجر الأمل وتحقيق آماله وجني ثمار صبره، ولكن السؤال إلى متى سيصبر الشعب، هل هو صبر مفتوح بلا نهاية أم له حدود وخاتمة، والسؤال الاستنكاري موجه لـ(البلابسة ومشعلي الحرب وضاربي دلاليكها والمصرين على استمرارها)، ولا ننتظر إجابة منهم.

مع بداية هذا العام الجديد، نقف أمام لحظة فارقة تتراوح فيها المشاعر بين الأسى والحزن على هذا الصراع العبثي الدموي الذي أدى إلى ارتكاب جرائم حرب بفقدان الآلاف من المدنيين لأرواحهم، وجرائم ضد الإنسانية، وتطهير عرقي، وانعدام الأمن الغذائي بشكل خطير، والنزوح على نطاق واسع، وانهيار نظام الرعاية الصحية. كما تسبب كذلك في تعميق الانقسامات بالسودان على أسس عرقية وقبلية وإقليمية بشكل خطير، وأدى إلى أن يعاني السودان من واحدة من أكبر الأزمات الإنسانية، أزمة النزوح واللجوء في العالم بسبب قرارات الأطراف المتحاربة، فضلًا عن أن الاقتصاد والبنية التحتية في السودان في حالة خراب ودمار شاملين، علاوة على أن العديد من النساء والفتيات تعرضن للاغتصاب أو ما زلن يعشن في حالة من الرعب من العنف الجنسي وسط حالة من الفوضى والإفلات من العقاب. إن الأوضاع الكارثية التي يكابدها السودانيون مع هذه الحرب القذرة، تذكر بما قاله سابقًا شاعر الشعب ولسان حال أوجاعه وهمومه محمد الحسن سالم حميد رحمه الله، على أيام هوجة ولهوجة وهيجان نظام (الإنقاذ) البائد، وهو يصف المآل المؤسف الذي انتهت إليه أوضاع البلاد بعد طول معاناة ومكابدة وأمل وترقب لحال أفضل، فإذا به يفجع بما هو أسوأ بفعل هذه الحرب:

من الواسوق أبت تطلع
من الأبرول أبت تطلع
من الأقلام أبت تطلع
من المدفع طلع خازوق
خوازيق البلد زادت..

فما عساه يا ترى سيقول حميد لو قدر له أن يشهد حال البلد اليوم بعد هذه الحرب الدموية المهلكة.

ولكن رغم كل شيء، علينا أن نؤمن أن الألم الذي عشناه ليس نهاية الطريق، إذ علينا أن نحول المحنة إلى منحة كما قال الإمام المهدي عليه السلام (المزايا في طي البلايا، والمنن في طي المحن، والنعم في طي النقم)، بأن نسعى ونجتهد لتحويل كل ما كان يتأذى ويتضرر منه شعب السودان إلى ما يفيده ويخدمه، ونستذكر هنا ما سبق أن كان يحلم به شاعرنا الفذ الشفيف العفيف الشريف محجوب شريف رحمه الله، وكان شريف قد عبر عن هذا الحلم برؤية مستبصرة من خلال قصيدة شهيرة، يقول في بعض أبياتها (مكان السجن مستشفى.. مكان المنفى كلية.. مكان الأسرى وردية.. مكان الحسرة أغنية.. مكان الطلقة عصفورة تحلق حول نافورة تمازح شفع الروضة.. حنبنيهو البنحلم بيهو يوماتي).

يبقى من المهم جدًا لكافة قوى الثورة وكل المؤمنين بضرورة وحتمية التغيير أن يشمروا سواعد الجد ويوجهوا كل الطاقات وكل الجهود لمعارك وقف الحرب أولًا كأولوية قصوى، فالتركة التي أورثتنا لها الحرب مثقلة بالأحن والمحن والأزمات المتراكبة والتحدي كبير في المجالات كافة، وإذا ما كنا قد بلغنا ما تم التوصل إليه من توافقات واتفاقات عبر جهاد ونضال كبير وصبر جميل أفضى إلى تشكيل أكبر تحالف سياسي مدني أنجز الثورة، فإن القادم يحتاج إلى جهاد ونضال أكبر وصبر أجمل فحيا على فلاح الوطن كما قال الإمام الصادق المهدي رحمه الله، أما المشفقون على حال البلاد بسبب الهشاشة والضعف الذي اعترى حيواتها كلها، فلن نزيد عن إهدائهم كلمة عن قوة وتماسك الشعب السوداني للفقيد محمد إبراهيم نقد السكرتير السابق للحزب الشيوعي السوداني. الفقيد نقد فيما أذكر كان قد أجاب عن سؤال وجهه له أحد الزملاء الصحافيين في حوار أجراه معه بمناسبة مرور ذكرى انتفاضة أبريل (1985)، ولكني للأسف لا أستحضر الآن تمامًا الصيغة التي طرح بها هذا الزميل سؤاله، غير أنني أستطيع التأكيد على أن سؤال الزميل كان سؤالًا استدراجيًا حاول من خلاله أن ينتزع اعترافًا موثقًا من الزعيم الشيوعي يعترف فيه بهشاشة أوضاع البلد وأنها بحالتها هذه لا تحتمل قيام ثورة على غرار أكتوبر التي أنهت حكم عبود ولا انتفاضة كالتي حدثت في أبريل وأطاحت بنميري ونظام مايو، بيد أنني أكاد أذكر بالحرف إجابة نقد وكانت فحواها أن البلاد تتحمل انقلابًا عسكريًا وتستحمل انتفاضة أيضًا، فالسودان والكلام لا يزال لنقد، بلد عضمه قوي، وأي محاولة للقول إنه لا يحتمل هذه مجرد تبريرات، وواصل نقد (ليه ما تستحمل، هي حتستحمل أكثر من الذي تتحمله الآن وأكثر من الحاصل).. تلك كانت كلمة وشهادة نقد في قوة عظم السودان، نعم فالشعب السوداني ما يزال (عضمو قوي)، وما يزال السودان البلد (عضمو قوي) بخيراته وموارده الظاهرة والباطنة، وما يزال شبابه نبيلًا وأصيلًا، فمع كل المحن والأحن والأزمات والخلخلة الاجتماعية والزلزلة الاقتصادية التي ضربته وما تزال في اللحم الحي، وكانت كل هذه البلايا والرزايا كفيلة بتفكيك عراه وتشتيت شمله والقضاء على محاسنه وفضائله ومزاياه التي جبل عليها وعرفتها عنه كل الأمم والشعوب وشهدت بها، إلا أنه سيظل صامدًا وراسخًا وثابتًا بإذن الله يقاوم كل هذه المصائب ويجتهد ما وسعه الجهد للمحافظة على إرثه الأخلاقي والقيمي، وهذه وحدها ضمانة كافية.

السودان على سلة المبادرات العثمانية: التمدد التركي بمعادلات الاقتصاد ولعبة المصالح

خالد عبد العزيز

الصورة الكبيرة

قراءة في شأن التمدد التركي في السودان من خلال السياسة البراغماتية ودبلوماسية المصالح. تسعى تركيا لاستغلال تقلص نفوذ إيران وتراجع الدور المصري لتوسيع نفوذها في المنطقة. الرئيس التركي رجب طيب أردوغان يسعى لجعل تركيا دولة محورية في الإقليم وجسر تواصل بين الغرب والشرق، مع هدف استراتيجي بأن تكون تركيا عضوًا في الاتحاد الأوروبي. لأنقرا علاقات تاريخية في المنطقة وتسعى لتعزيز وجودها الاقتصادي في السودان من خلال استثمارات في مجالات مثل تنقيب الذهب والزراعة والبنيات التحتية. كما تسعى تركيا لزيادة نفوذها في ليبيا والبحر الأبيض المتوسط.

نقاط جوهرية

- تركيا لديها مصالح مشتركة مع طرفي الحرب في السودان، مما يجعلها ملاذًا آمنًا للاستثمارات والأموال السودانية.
- المبادرة التركية تحظى بقبول الإمارات بسبب المصالح الاقتصادية والتجارية بين البلدين.
- أردوغان يسعى لاستعادة دور تركيا التاريخي كإمبراطورية عثمانية، ويستخدم الإسلام كعامل للنهضة وتعزيز الدور الثقافي لتركيا.
- تركيا تواجه تحديات في التنسيق مع دول المنطقة مثل السعودية ومصر وقطر والإمارات، وتحتاج إلى إشارات مرور خضراء من الولايات المتحدة لتحقيق مصالحها في السودان.

تسعى تركيا إلى نسج خيوط من حرير السياسة البراغماتية ودبلوماسية المصالح لصنع بزة اقتصادية زاهية وتوسيع نفوذ الدولة الناهضة في ظل الأردوغانية واستعادة أمجاد الإمبراطورية العثمانية العتيدة. استغلت أنقرة تقلص نفوذ إيران الإقليمي ما بعد الحرب في غزة في أكتوبر 2023 - فلسطين، لبنان وسوريا - وتراجع الدور المصري الإقليمي بسبب الأزمات الاقتصادية - حجم إيرادات الدولة 55 مليار دولار وحجم العجز يبلغ 26 مليار دولار حسب موازنة 2024-2025 - وعدم نجاح خطط وتدخلات بعض دول الخليج لتكون الدولة المركزية في المنطقة وإخفاقها في ملفات فلسطين، سوريا، العراق، لبنان واليمن والسودان إضافة إلى هواجسها من المطامع الإيرانية وفقدانها للتوازن العسكري مع منافسها الإيراني.

في ظل هذا المناخ ينحو الرئيس التركي رجب طيب أردوغان صاحب الطموح الطاغي الذي ظل ممسكًا بصولجان السلطة لأكثر من عقدين من الزمان لتوسيع نفوذ بلاده لتكون الدولة المحورية في الإقليم وجسر التواصل بين الغرب والشرق، كما ظلت جغرافيا تركيا دومًا معبرًا بين أوربا وآسيا. تركيا لديها هدف استراتيجي بأن تكون عضوًا في الاتحاد الأوربي لأن هذه الخطوة من شأنها إحداث نقلة كبيرة في الاقتصاد وفتح أسواق جديدة بلا حدود للمنتجات التركية. ومن أجل مصالحها الذاتية وفي سبيل الطموح الإقليمي لعبت الدور الرئيسي الخارجي في تغيير نظام حكم الأسد في سوريا وتفكيك النفوذ الروسي والإيراني ثم تقدمت بمبادرة وساطة بين إثيوبيا والصومال. وأخيرًا افترعت مبادرة لتجفيف منابع التوتر بين السودان والإمارات. بالتأكيد الرئيس التركي يسعى عبر الدور الدبلوماسي لكسب ود الغرب ودول الخليج لفتح أسواق جديدة لبلاده وطرق أبواب الاستثمارات المشتركة، فهو يدرك الرافعة لحزبه الحاكم - العدالة والتنمية - هو الاقتصاد وهو حصان طروادة لكسب أصوات الناخبين.

الملف السوداني:

تركيا لديها علاقات تاريخية في السودان بدأت عام 1555م بوضع يدها على سواكن في شرق السودان كما استعمرت السودان -1821 1885م وحكمت السودان بالحديد والنار. ولكن ما برحت للحقبة التركية آثار ثقافية عميقة في المجتمع السوداني. ولدى أنقرة توجهات بأن يكون لها موطئ قدم في سواحل البحر في السودان ويصير لها ميناء يعزز تجارتها وحركة سفنها في كل البحر الأحمر وتوسيع استثماراتها في السودان في مجالات تنقيب الذهب والزراعة والبنيات التحتية، كما أن الاقتصاد السوداني بهشاشته الصناعية يمكن أن يكون سوقًا مزدهرًا للمصنوعات التركية ونافذة تجارية للدول الأفريقية الحبيسة من الشواطئ والمجاورة للسودان مثل إثيوبيا وتشاد وجنوب السودان ودول أخرى «حجم التبادل التجاري بين تركيا وأفريقيا حوالي 27 مليار دولار لعام 2024 مقارنة بـ5.4 مليار في عام 2003 «. ويقدر حجم التبادل التجاري السنوي بين السودان وتركيا بـ 500 مليون دولار. كذلك رفع معدلات نفوذ أنقرة في السودان يزيد من دورها المتنامي في ليبيا الدولة الغنية بالنفط. فهي تساند حكومة طرابلس بصورة مؤثرة عسكريًا وسياسيًا.. ولتركيا طموحها المتزايد في البحر الأبيض المتوسط والتنقيب عن الغاز هناك إلى جانب تعزيز نفوذها في جزيرة قبرص المتوسطية.

ولتركيا علاقات ومصالح وطيدة مع طرفي الحرب في السودان فهي مورد سلاح للجيش السوداني كما أن العديد من كبار داعمي الجيش من التيار الإسلامي لديهم استثمارات وعقارات وودائع بنكية آمنة في تركيا وبعض القادة من العسكريين لديهم مدخرات وأملاك هناك. وعلى الجانب الآخر لزعيم الدعم السريع وأسرته استثمارات ضخمة في مجالات مختلفة في تركيا. وبذا تكون تركيا ملاذًا آمنًا لهذه الاستثمارات والأموال السودانية. وهذه المصالح المشتركة لأطراف سودانية فاعلة تجعل لتركيا كروت ضغط ومطامع ومصالح كما أن هذه المصالح المشتركة صارت مظلة من الثقة من طرفي الحرب ومساندي الجيش في الدور التركي. وأنقرة أصلا ترغب في سودان مستقر حتى تحقق مصالحها الاقتصادية والسياسية والأمنية واللوجستية في السودان.

شراكات تجارية:

على الضفة الأخرى تحصد المبادرة التركية القبول الإماراتي بحكم المصالح الاقتصادية والتجارية بين البلدين ويقدر حجم التبادل التجاري السنوي غير النفطي سنويًا بين البلدين 20 مليار دولار، ويتوقع أن يصل إلى 40 مليار بعد خمس سنوات. وبلغ حجم أصول صندوق أبوظبي السيادي للاستثمار 1.7 ترليون دولار 2024، بحسب شركة الاستشارات «غلوبال إس دابليو إف» (Global SWF). وللإمارات فوائض مالية ضخمة ويبلغ حجم التضخم لعام 2024 حوالي 1.8% حسب البنك المركزي الإماراتي. وتبلغ حجم الاستثمارات الإماراتية في تركيا حوالي 8 مليارات دولار وترغب تركيا في رفع معدلات التعاون التجاري مع الدولة الخليجية الغنية. علمًا بأن حجم التبادل التجاري السنوي بين تركيا ودول التعاون الخليجي بلغ حوالي 31 مليار دولار حسب الإحصاءات التركية الرسمية لعام 2023. فيما يقدر

حجم التجارة البينية بين تركيا والدول العربية كافة بـ55 مليار دولار. من هذه الإحصاءات يتضح أن الإمارات هي أكبر شريك تجاري من دول الخليج مع تركيا لذلك فإن المصالح هي من تدفع تركيا للعب دور الوسيط إلى جانب أن الإمارات صاحبة نفوذ قوي على قوات وقادة الدعم السريع. وكانت الإمارات وتركيا لعبتا سويًا دورًا محوريًا في مساندة حكم الرئيس الإثيوبي أبي أحمد إبان حربه ضد التقراي بتوفير سلاسل الإمداد العسكري والطائرات المسيرة التركية نسبة لتوافر إرادة المصالح الاقتصادية والجيوبوليتكية المشتركة للإمارات وتركيا في إثيوبيا. وتنشط تركيا للانتشار العسكري والتجاري في الصومال وجيبوتي أي أنها تسعى للتمدد في القرن الإفريقي والبحر الأحمر.

المجد العثماني:

وعلى الرغم من المظهر الإسلامي الناعم لحزب الرئيس أردوغان ولكنه يتمسك بعلمانية الدولة الأتاتوركية وهذا من شأنه إدخار ميراث تركيا الحديثة على المستوى الداخلي ولحفظ التوازن والقبول مع الغرب والاتحاد الأوربي خاصة. وليس لأردوغان بالطبع مشروع لتصدير المشروع الإسلامي مما يبعث الطمأنية لدول الخليج.

أردوغان مشروعه الأساسي هو استعادة دور بلاده التاريخي أسوة بالتركية العثمانية. والإسلام بالنسبة له هو تراث الأمة وعامل للنهضة وإحياء روح الإمبراطورية العثمانية لدى الشعب وتعزيز الدور الثقافي لتركيا ويطلق على أعضاء حزبه في الحملات الانتخابية أحفاد العثمانية. وأردوغان يجيد التفاوض وفنون التوازنات واللعب بالتناقضات محليًا وإقليميًا ودوليًا وتحركه المصالح الاقتصادية البراغماتية السياسية وليس الأيدولوجيا واستغل مآلات المحاولة الانقلابية الفاشلة في عام 2016 لتصفية خصومه وإحكام قبضته على السلطة حتى صار أقرب لسلطان متوج أكثر من أنه رئيس جمهورية. وهو يوظف كل ما لدى تركيا من موقع جغرافي وموارد اقتصادية - عضو دول الـ20 أقوى اقتصاد في العالم - وصلات دبلوماسية وعسكرية - عضو حلف الناتو - لكي تصبح بلاده قوة اقتصادية مركزية على مستوى العالم. وتركيا تسعى لزيادة تبادلها التجاري مع الدول الخليجية. في السنوات الأخيرة شهد اقتصادها تراجعًا وبلغ معدل العجز في الموازنة حتى نهاية سبتمبر الماضي 2024 حوالى 31 مليار دولارًا مقارنة بعجز 15 مليار دولار في الأشهر التسع الأولى من موازنة 2023 أي أن عجز الموازنة ارتفع بمعدل 110% وبلغ حجم التضخم لشهر نوفمبر 2024 حوالي 47%. مما يستوجب سياسات داخلية وخارجية توظف لصالح فتح أسواق واستمارات وشراكات تجارية دولية جديدة. ورغم هذه المصاعب الاقتصادية ما تزال تركيا إحدى أكبر الاقتصاديات العالمية. وبلغت صادرات تركيا في الأشهر التسع الأولى لعام 2024 حوالي 193 مليار دولار مع تحسن وضعيتها في التصنيف الائتماني العالمي.

شبكات مصالح وتحديات:

شبكات المصالح المتشابكة لتركيا مع الإمارات والسودان يؤهلها للعب دور الوسيط بين السودان والإمارات كخطوة تمهيدية لإنجاح سبل الوصول لوقف إطلاق النار بين الجيش والدعم السريع.

أبرز التحديات التي تواجه الدور التركي في الإقليم عامة وفي السودان خاصة هو التنسيق ومراعاة تقاطع المصالح مع دول المنطقة خاصة السعودية ومصر وقطر والإمارات وعدم كسب عداء إيران وروسيا. ونجاح أي جهود لوقف الحرب يتطلب في المقام الأول توفر الإرادة السياسية للاطراف السودانية لوقف الحرب وتحييد أي أطراف خارجية من التدخل في دعم استمرار الحرب. ويبقى هناك دومًا التنافس التركي - الإيراني ليس على منطقة الشرق الأوسط وحدها ولكن يمتد أيضًا في منطقة آسيا الوسطى «القوقاز» وهذا التنافس المحتدم يمثل تحديًا بارزًا ومزمنًا «فارسي - عثماني» لأي دور لأنقرة في المنطقة وهو تنافس على النفوذ تاريخي حضاري واقتصادي تجاري وسياسي وديني مذهبي. ولكن يبقى التحدي الرئيسي لأي جهود تركية في إيقاف الحرب في السودان وفي دول أخرى. هو الحصول على إشارات مرور خضراء من سيد المكتب البيضاوي الجديد دونالد ترامب لأن واشنطن هي سيدة العالم الجديد وهي قائدة قطار التفاوض في السودان. وعلى الرغم من التوقعات بتراجع الاهتمام الأمريكي بالسودان في عهد ترامب والحزب الجمهوري ولكن هذه لا يعني أن لا تكون أمريكا صاحبة الكعب الأعلى بحكم قاعدة المصالح التي تربط دول الإقليم اقتصاديًا وتجاريًا وعسكريًا وأمنيًا ودبلوماسيًا مع واشنطن التي تقوم بدور المنسق لتوزيع الأدوار وضمان عدم انفجار تقاطع المصالح في الإقليم بالتوافق مع حلفيها ووكيلها الاستراتيجي إسرائيل. بلغ الناتج المحلي الأمريكي لعام 2024 حوالي 28.7 ترليون دولار من مجمل الناتج المحلي لدول العشرين والبالغ 86 ترليون دولار أي بنسبة 27% وهذا يوضح مدى قوة الاقتصاد الأمريكي مقارنة بأكبر 20 اقتصاد عالميًا ومقدرتها على التأثير دوليًا. فلغة المصالح ومعادلات القوة والقوة العسكرية هي من تسود في عالم اليوم ويتخلق عبرها توازن القوى الدولية والإقليمية.

اللبس الكاجوال وعدم المصافحة.. أجساد «الخواجيات» وصراع القيم

علاء الدين بشير

الحدث الرئيسي

المقال يتناول عدم مصافحة القائد السوري أحمد الشرع لوزيرة الخارجية الألمانية أنالينا بيربوك خلال زيارتها لدمشق، وما أثاره ذلك من جدل حول صراع القيم بين الغرب والإسلام.

الرسالة الدبلوماسية: مظهر الوزيرة الألمانية ولباسها الكاجوال يعكسان رسالة دبلوماسية بعدم الاعتراف الكامل بالوضع القائم في سوريا، وعدم المصافحة يعبر عن عقيدة المسؤولين الجدد في دمشق.

مفاتيح للقراءة:

• صراع القيم: المقال يسلط الضوء على الصراع القيمي بين القيم الليبرالية الغربية والفهم الإسلامي السلفي، وكيف أن الغرب يرى في المسلمين مجتمعات مكبوتة ومهووسة بالجنس.

• أمثلة تاريخية: المقال يستعرض أمثلة تاريخية مشابهة، مثل زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت للسودان في التسعينيات، وزيارة الصحافية الإيطالية أوريانا فالاتشي للخميني في إيران.

• الاستشراق: المقال يشير إلى أن لقاءات النساء الغربيات بالقادة الدينيين في العالم الإسلامي هي امتداد لبعثات المستشرقين الغربيين للعالم الإسلامي خلال القرنين الماضيين.

انشغلت وسائل الإعلام العالمية ومنصات التواصل الاجتماعي نهاية الأسبوع الماضي بعدم مصافحة القائد السوري أحمد الشرع لوزيرة الخارجية الألمانية، انالينا بيربوك التي زارت دمشق رفقة نظيرها الفرنسي وبلباسها الكاجوال أكثر من انشغالها بنتائج الزيارة نفسها .

وبما أن الديبلوماسية هي الوجه الآخر للسياسة فقد انطوى مظهر الوزيرة الألمانية على رسالة قوية مؤادها عدم الاعتراف الكامل بالوضع القائم في سوريا حسب البروتوكولات الألمانية، كما عبر عدم المصافحة لها عن عقيدة المسؤولين الجدد في دمشق ونمط تفكيرهم وانعكاس ذلك على التعامل المستقبلي وصيانة المصالح الغربية في المنطقة .

لكن خلف الظلال يتجاوز الحدث الرسائل الديبلوماسية وينطوي على صراع قيم قديم ومتجدد، فبالإضافة إلى أن بيربوك أوربية تمثل بلدا رائدا في القيم الغربية الليبرالية فهي كذلك امرأة وتبدو شابة وتمتلك معلومات كافية قبل وصولها دمشق عن القائد السوري أحمد الشرع وجماعته وخلفيتهم الدينية الإسلامية السلفية المحافظة جدا بخاصة في جانب تعاطيهم الشخصي والفكري مع قضية المرأة، وتعلم انه لن يصافحها، وإذا كان عدم المصافحة في العرف الديبلوماسي عموما يعتبر إهانة فإنه في القيم الغربية للمرأة لكونها فقط امرأة يفهم على انه إهانة أكبر لها وزراية بها وعدها شيئا من الرجس الذي ينبغي تجنبه، لذلك في تقديري انتقاء ملابسها الكاجوال كان الغرض منه أيضا منازلة تلك المفاهيم السلفية في عقر دارها ومعركة صامتة بين قيم الحداثة الليبرالية الغربية والفهم الاسلامي السلفي.

وثمة بُعد نفسي آخر في الأمر وهو أن الغربيين يرون في المسلمين مجتمعات مكبوتة ومهووسة بالجنس وإن ذلك واحد من الأسباب الرئيسية لمشاكل تخلفهم الفكري والاجتماعي، وأنهم بما في ذلك قادتهم يرتبكون في مواجهة الجسد الانثوي الحر الطليق لأن بنية وعيهم قائمة على الوصاية الغليظة على جسد المرأة وكذلك على عقلها وتقع ردود فعلهم إزاء هذا التحرر في حيزين إما الضعف والخوار امامه أو رفض التعاطي الايجابي معه بحيوية عقلية وقوة خُلقية.

ووفقا لكل هذه المعرفة جاءت الوزيرة الاوربية في زيارتها الاستكشافية الأولى وإلى جانب المباحثات الرسمية العامة من المؤكد انها كانت ترصد ردود فعل الشرع السايكلوجية المُعَبَر عنها بلغة جسده إزاء مواجهته للطلاقة الجسدية والحيوية الفكرية للسيدة الأوربية الجالسة امامه، ونتيجة لرصدها هذا هناك جانب مهم ستقوم عليه عملية عميقة لتحليل شخصيته ومساعديه من أجل وضع الاستراتيجيات المثلى للتعامل معهم .

نفس هذه الرؤية القيمية الصدامية هي ما كانت قد حكمت زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية في عهد إدارة الرئيس الأسبق بل كلينتون، مادلين اولبرايت في النصف الأول من تسعينيات القرن الماضي حينما هبطت في الخرطوم للقاء قادة النظام الاسلامي المتشدد الذي استولى على السلطة في البلد الإفريقي الفقير وتوجيه رسالة تحذيرية لهم من أن بلادهم صارت مأوى للجماعات الإرهابية.. حكت اولبرايت تفاصيل زيارتها تلك في كتاب مذكراتها الموسوم (الجبروت والجبار.. تأملات في السلطة والدين والشؤون الدولية) ونشرت فيه صورة لقائها مع الرئيس المخلوع عمر البشير بالقصر الرئاسي.. لم تكن الوزيرة الأمريكية ترتدي ملابس كاجوال كنظيرتها الألمانية المعاصرة ولكنها كانت ترتدي مع البدلة الفورمال إسكيرت قصير جدا قياسا باللباس الرسمي للمسؤولات الغربيات الأخريات وازداد قصرا حينما جالست البشير وجها لوجه ووضعت رجلا فوق رجل ليرتفع إلى فوق ركبتيها كثيرا.. بدا البشير الذي كان فتيا وفي نهاية الأربعينيات من عمره تقريبا ويرتدي الزي العسكري ويضع غطاء الرأس جانبا ويستعمل عصا خشبية، في الصورة التي نشرتها بالكتاب عن لقائها به منكمشا على نفسه ومنزويا داخل الكرسي الرئاسي الضخم والوثير ولا يُعرف إن كان ذلك بأثر الصدمة من جسد الوزيرة الأمريكية الطليق أم لحداثته في السلطة وعدم معرفته الكافية بقواعد البروتوكول الرئاسي؟

بالطبع صافح البشير اولبرايت وبحرارة على عكس القائد السوري احمد الشرع، وهو ما أرجح انه السبب الذي ترك عندها انطباعا جيدا نسبيا عنه حيث أشادت باستقباله الحسن لها ولم تصفه في الكتاب بأي وصف سيء بل كان حديثها عنه أقرب إلى الغزل حينما وصفت شكله وحديثه معها ونعتته بالوقار ولم تتعرض مطلقا لاصوليته وإنما تحدثت عنه كضابط جيش تقليدي وصارم. ولكن رغم انطباعها المريح عن البشير فقد كشفت عن رعبها الشخصي من نظامه (الاصولي المتشدد) حينما قدمت لها الضيافة الرئاسية الرسمية عصير الكركدي الذي وصفته بـ(مشروب زهري له قوام الشامبو) فقد أعربت عن خشيتها من احتمال أن يكون مسموما وقالت إنها ترددت في شربه خاصة وان البشير ومساعديه لم يشربوا منه وكانوا ينظرون لها فقط ولكنها قررت في الاخر طرد هواجسها واحتسائه نزولا عند مزحة كانت تبثها بين زملائها وهي بما أنها رئيسة الديبلوماسية الأمريكية فجزء من مهمتها وواجبها هو الاكل والشرب خلال تجوالها في العالم

إنابة عن دولة وشعب الولايات المتحدة! قالت إنها أخذت منه رشفة واحدة ولم تبلعها وللمفاجأة وجدت طعمه لذيذا يماثل مذاق مشروب امريكي شهير .

للمفارقة ان اولبرايت لم تخرج بانطباع جيد ومريح عند لقائها بالدكتور حسن الترابي، رحمه الله. فقد وصفته بانه (شخصية نارية) وقالت انه يتحدث اكثر من ما يستمع وانه محشو بالمرارة تجاه أمريكا والغرب لأنهم لا يعيرونه الاهتمام اللائق والكافي ويطلقون أحكامهم دون تحر وتثبت. لم تشر الوزيرة الأمريكية إلى اي شيء عن قدرات الترابي الفكرية بل ولم تنوه حتى لمقدراته في اللغة الإنجليزية ولم تعط لقائها به في كتابها الحيز الذي اعطته للقائها بالبشير .

ورغم كل ذلك فإن صراع القيم هذا مقيد بشيء من الاعتدال عند المسؤولين الرسميين الغربيين من النساء لاعتبارات بروتوكولية رسمية ولكنه عند الصحافيات الغربيات مثلا يأخذ هذا الصراع الحضاري بعدا اكثر جرأة وحدة واسطع نماذجه يتجلى في اللقاء الشهير الذي أجرته أشهر صحافية في العالم الإيطالية الراحلة، اوريانا فالاتشي مع مرشد الثورة الإيرانية، الإمام الخميني بعد فترة قليلة من نجاح الثورة عام 1979 وحكت عنه في كتابها الشهير (مقابلات مع التاريخ ورجال السلطة) .

عرفت فالاتشي بانها من حراس القيم الليبرالية الغربية الاشداء وبهذه الخلفية دخلت على الإمام الخميني.. كانت غاضبة جدا لأنهم اضطروها للانتظار عشرة أيام كاملة في مدينة قم المقدسة حتى وافق الخميني المستريب من الصحافيين الغربيين على إجراء المقابلة معها. وما فاقم غضبها أنها اضطرت أيضا للانصياع الصارم لتعليمات مساعدي زعيم الثورة الإيرانية ومرشدها ووصلت إلى مقر إقامته حافية القدمين واضطرت إلى تغطية كامل جسدها بـ(التشادور) لباس النساء الإيرانيات التقليدي الذي غضبت جدا اول مرة حينما تم الزامها به واضطرت للقبول نظير قضاء ساعة مع الزعيم الإيراني محط أنظار العالم كله في ذلك الوقت .

واجهت فالاتشي الخميني بوابل من الأسئلة الغاضبة والجريئة في الوقت نفسه عن الحريات الصحافية والسياسية وعن إعدام المومسات والازواج الخائنين لبعضهم وعن حقوق النساء ومكانتهن التي قضت عليها الثورة وكان يجيبها بتبرم وجرأة أيضا من منطلق قيم الثورة الاسلامية دون تذويق أو تجميل.. ثم طرحت عليه سؤالا مباغتا ومستفزا: كيف يمكنك أن تسبح وانت ترتدي التشادور؟

أجابها الخميني بغضب واستفزاز: ملابسنا ليست من شأنك. لا علاقة لكم أيّها الغربيّون بعاداتنا. وإذا لم تكوني تحبّين لباسنا فلست ملزمة بأن ترتديه، لأن اللباس الإسلامي للنساء المحترمات».

قالت فالاتشي أنها أحست بغضب واختناق لأنها عوملت باحتقار وازدراء واضحين .

فقالت: «شكرا لك يا سيد انت رجل مهذب وبما انك قلت هذا فسأخلع هذه الخرقة القروسطية السخيفة الآن». وفي الحال خلعت فالاتشي التشادور وألقت به على أرضية الغرفة وبدت بملابسها المتحررة جدا.

قالت فالاتشي معلّقة على ما حدث: ما أن خلعت التشادور حتى نهض الرجل بخفّة. وبقفزة تشبه حركة القطط، داس في طريقه على التشادور ثم اختفى. واضافت: «لكن كان على الانتظار ثمان وأربعين ساعة أخرى كي أراه ثانية وأختم المقابلة معه». وذكرت انه في المقابلة الثانية كان الخميني ينظر إليها باندهاش شديد من جنونها على الأرجح ثم ما لبث أن ابتسم ثم ضحك فضحك جميع مساعديه وحراسه في القاعة .

وفيما اظن ان لقاءات النساء الغربيات الليبراليات بالقادة الدينيين في العالم الإسلامي مدفوعين بالوعي الاستشراقي الغربي كما فككه إدوارد سعيد ومستخدمين نعومتهن الأنثوية وغلظتهن في الآن ذاته هو امتداد لبعثات المستشرقين الغربيين للعالم الاسلامي خلال القرنين الماضيين وللنظرة الاستشراقية الفوقية للمجتمعات المسلمة .

حكت لي الأخت الجمهورية الأستاذة سامية صديق في مدينة ايوا سيتي بأمريكا، ان امرأة خواجية شابة زارت الأستاذ محمود كباحثة وأجرت معه لقاءً وكانت ترتدي رداء قصيرا (شورت) وقميصا بأكمام قصيرة وتنفث دخان سيجارتها في وجه الأستاذ محمود وهي تتحدث معه وكان هو مستغرقا في الحديث معها بكل اهتمام وتقدير لشخصها دون أن يبدي اي نأمة ضيق أو تبرم من سلوكها أو مظهرها بينما كانت مجموعة الاخوات الجمهوريات اللائي كن بالمنزل وقتها يقفن بعيدا وهن ينظرن إليها شذرا من سوء ادبها مع شخص في قامة الأستاذ وعمره.. خرج الأستاذ من الغرفة وبرفقته الخواجية ولكن استمر حوارهما في فناء المنزل وهي تستمر في نفث دخان سيجارتها في وجهه وهو يحاورها بهدوء.. هنا استبد الغضب بالإخوات من سلوكها ولكن عصمهن الأدب من التدخل والاعتراض.

قدم الأستاذ ضيفته حافيا إلى خارج المنزل وحينما عاد إلى الداخل قال للاخوات: «اعملوا حسابكم لو ما مسكتوا في فكرتكم دي بقوة سيأتي هؤلاء القوم الأذكياء جدا ويفوتوكم». أو كما قال، ثم دخل غرفته دون أن ينبس بأي نقد لتلك المرأة!.

أفق جديد

أدوات التحريض سيئة السمعة

الصورة الكبيرة

كيف أسهم خطاب الكراهية والتحريض على المجتمع السوداني في حربه الحالية وفي تاريخه المنصرم. تفاقمت الصراعات القبلية والعنصرية بعد الثورة، فيما ينحي البعض باللائمة على السياسيين في تأجيج هذه الصراعات لتحقيق مكاسب سياسية.

معالم بارزة:

- تلاعب السياسيين: استخدام خطاب الكراهية لتقسيم المجتمعات والحفاظ على السلطة.
- أدوات التحريض: دور الإعلام المضلل والمؤثرين في نشر خطاب الكراهية.
- شبكات التحريض: تنظيم غرف لنشر الكراهية عبر وسائل التواصل الاجتماعي.
- الأيادي الخارجية: تدخلات خارجية تستغل الانقسامات لتعزيز مصالحها.
- التعليم والقوانين: أهمية التعليم ووضع قوانين صارمة لمواجهة خطاب الكراهية.

لم تمض ليالٍ معدودة على انتفاضة السودانيين ضد نظام البشير في العام 2019، حتى أزكمت أنوفهم مجدداً روائح الفتن القبلية والعنصرية التي عمّت فضائهم السياسي والاجتماعي، بعدما ظنوا أنّ الصفاء عاد لسمائهم. وفي غضون أسابيع، عقب الاعتصام المشهود للثوار السودانيين على أسوار القيادة العامة للجيش، كانت أطراف البلاد القصيّة تروي فصولاً من سيرة الصراعات العشائرية.

كانت البداية من إقليم دارفور، في غرب البلاد، حين نشب شجار بمدينة الجنينة بين شباب متباينيّ الإثنيات في أحد أندية المشاهدة.

إثر المشادة لقي ثلاثة أفراد حتفهم. وفي صبيحة اليوم التالي، وتحت وقع الطبول، كانت هناك تجريدة مضادة للثأر أودت بحياة عشرات القتلى وشرّدت المئات من معسكر (كريندينق) للاجئين.

بعيداً عن الغرب، وفي ذات التوقيت على وجه التقريب كان شرق البلاد يشهد هو الآخر اشتباكات قبلية مماثلة في ولايات البحر الأحمر وكسلا. كما جرت أعمال حرق ونهب طائفية واسعة النطاق في بورتسودان، ضمن نزاعات طائفية أخرى، وهي مواجهات متكررة تَكَبَّدَ جراءها الإقليم مئات القتلى والجرحى خلال السنوات القليلة الماضية.

تلاعب السياسيين

تلقي العديد من الفاعليات الثورية باللائمة على نظام الإخوان في السودان لكونه قد فاقم البعد القبلي للصراع في إقليم دارفور، وأوقد ضرام حربها المسترسلة منذ العام 2003.

ومن وجهة نظر الناشط المجتمعي آدم رُجَّالْ، الذي يشغل موقع الناطق الرسمي باسم المنسقية العامة للنازحين واللاجئين في دارفور، فإنّ الأنظمة المتعاقبة تتعمد نثر بذور الكراهية لتقسيم المجتمعات حتى ولو أدّى ذلك إلى تمزيق النسيج الاجتماعي، فهذا ثمنٌ زهيد مقابل احتفاظها بالسلطة.

ويعضّد أستاذ الإعلام بالجامعة الخليجية في البحرين، الدكتور عبد الله إبراهيم الطاهر، شهادة المتحدث باسم منسقيّة النازحين، مشيراً إلى استخدام خطاب الكراهية أحياناً من قبل الحكّام لأغراض التلاعب السياسي، رغم الانقسامات المجتمعيّة الناجمة عنه.

وتترتّب على خطاب التمييز العرقي تبعات على السلم المجتمعي، كما يقول الطاهر؛ إذ يؤدي إلى تنامي الشعور بالعزلة والتهميش لدى أفراد الجماعات المستهدفة.

أدوات سيئة السمعة

بالنسبة لرحاب سيد أحمد، الناشطة والمدافعة الحقوقيّة، فإن خطاب الكراهية تنامى في الفترة الأخيرة بصورة مخيفة. وتقول رحاب إنّ النظام البائد تعمّد صناعة المُكر والدسائس إبّان سنوات حكمه، مشيرةً إلى عودته مرّة أخرى إلى الواجهة ليؤجج نار الفتنة وسط القبائل وخطاب الكراهية عبر الإعلام المضلل ومن

سمتهم (اللايفاتية)، وهم مؤثرون يعملون على نشر وجهات نظر مؤيدة للإخوان عبر منافذ البث المباشر في تطبيقات الهواتف النقالة.

وفي ذات المنحى يحاول آدم رُجَّالْ، المتحدث باسم النازحين ربط السياق الحالي للحرب بين الجيش والدعم السريع مع خطاب الكراهية المسترسل منذ عشرات السنين، مشيراً إلى أن معركة أبريل 2023 تتغذّى بالفعل من خطابات الكراهية التي ظلت تعمل منذ أمد بعيد، وتنخر في المجتمعات المحلية عبر تقسيم الناس. ويشير الناطق باسم النازحين إلى أن تقسيم الناس يمكن أن يكون بناءً على القبيلة أو اللون أو الدين أو الانتماء السياسي، مشيراً إلى أن النازحين «ظلوا يُعاملون على الدوام كما لو أنهم ليسوا بشراً، وهذا أيضاً من أشكال الكراهية»، كما يقول. ويصف محدّثنا هذه الأدوات بأنها «سيئة السمعة، ونتائجها تتراءى أمامنا اليوم».

محصّلة طبيعيّة

من جهته يرى محمد المختار محمد، الصحفي ومدقق المعلومات المتخصص في مكافحة خطاب الكراهية والتطرف العنيف أن خطاب الكراهية يغذي الاستقطاب الاجتماعي من خلال استخدام لغة ازدرائية وتمييزية ضد الأشخاص والمجموعات على أساس الانتماء الإثني والعرقي أو القبلي أو النوع الاجتماعي.

ويبدي المختار أسفه للمستويات الخطيرة التي وصل إليها خطاب الكراهية، معتبراً أنها محصلة طبيعية للاستقطاب الذي أحدثته الحرب، مؤكداً أن تصاعد خطاب الكراهية والخطاب العدائي يمثل أزمة حقيقية ستواجه المجتمع السوداني، وأن هناك أعباء مستقبلية ستظل في الانتظار، مشيراً إلى أن تداعيات إزكاء نيران الحرب ودعوات مواصلة الصراع ستبقى مستمرة حتى بعد توقف القصف وانقطاع صوت الدانات.

شبكات التحريض

يتفق محمد عبد العزيز، السكرتير التنفيذي لنقابة الصحفيين السودانيين مع الرؤية التي تقول إن خطاب الكراهية وخطاب الحرب يتصلان ببعضهما. وطبقاً لعبد العزيز، الصحفي والباحث المهتم بالشؤون الرقمية وشبكات التواصل فإنّ هناك غرفاً منظمة تلعب دوراً في تأجيج الكراهية وبث خطابها ونشره بشكل واسع، بالتزامن مع عمليات تضليل ممنهجة بهدف التعبئة وتحقيق انتصارات عسكرية، فالحرب حالياً -من وجهة نظر عبد العزيز- تجري على مستويين؛ جبهة العمليات العسكرية على الأرض، وعبر منصات التواصل والشبكات الاجتماعية، التي باتت المحرك الأساسي للتحشيد وإثارة القلاقل بين المكونات الاجتماعية وتهويل الوقائع.

محركات الكراهية

يؤكد الباحث الأكاديمي وأستاذ الإعلام عبد الله الطاهر أنّ بعض وسائل الإعلام تسهم في نشر خطاب الكراهية من خلال تقديم تغطية متحيزة أو تضخيم الأحداث التي تغذي الكراهية بين الجماعات، وهو ذات ما تقول به إخلاص نمر، الناشطة الحقوقية والمهتمة

بقضايا المرأة والنوع، مشيرةً إلى أن فضاءات الإعلام الجديد ووسائط التواصل الاجتماعي باتت المكان الأمثل لممارسة هذا الخطاب، مؤكدة صعوبة السيطرة عليه.

الأيادي الخارجيّة

يعرب محمد عبد العزيز عن أسفه كون أدوات التضليل الإعلامي تعمل بشكل ممنهج ومؤثر وبإمكانيات أعلى من الإمكانيات المحلية، ما يؤكّد وجود أطراف خارجية تنفق بلا حدود على عمليات التلاعب في الخوارزميات وتبث ما ترغب فيه.

في ذات المنحى يقول أستاذ الإعلام بالجامعات البحرينيةّ، عبد الله الطاهر إنّ شبهة التدخلات الأجنبية موجودة، وفي بعض الحالات، قد تكون هناك منظمات وجهات خارجية تعمل على استغلال الانقسامات العرقية والقبلية لتعزيز مصالحها في السودان، مشيراً إلى أن ذلك يتم من خلال دعم بعض الفصائل على حساب أخرى، أو من خلال تمويل حملات إعلامية أو دعائية تعزز الكراهية.

فيما يجيب محمد المختار على شبهة الأيادي الخارجية التي تغذي الصراع قائلاً إنّ جهات عديدة من مصلحتها تصعيد خطاب التمييز والانحياز منها الأطراف المنخرطة في النزاع وأنصارهم ومحازبيهم في وسائل التواصل، وأجهزة الأمن والاستخبارات العسكرية وغرف الدعاية الحربية وغرف التضليل، وغيرها. ويسترسل مختار منحيا باللائمة أيضاً على من سماها «جهات دينية وآيدلوجية بغيضة، تنشر خطاب الكراهية وتشرعن للقتل وقصف المدنيين». وضمن تصنيفه كذلك للجهات التي تتعمّد نشر خطاب الكراهية والتطرف العنيف لا ينسى المختار ذمّ بعض واجهات الإعلام «التي تخلت عن أخلاقيات المهنة وأصبحت منحازة بشكل سافر لأحد طرفي الحرب»، بالإضافة إلى «بعض أهل الفن عبر تصريحاتهم أو أغنياتهم».

ما العمل؟

تأمل الناشطة إخلاص نمر أن يضطلع المجتمع المدني بدوره للمساعدة في محاصرة خطاب الكراهية عبر تعزيز المبادرات الإيجابية وتمكين التدابير التعليمية لتوعية المجتمعات بغية بناء جيل متشرب بقيم التسامح والمحبة.

وطبقاً لإخلاص فإنّ العبء الأكبر يقع على مزوّدي خدمات الانترنت والشركات الكبيرة التي ينبغي أن تتخذ خطوات إيجابية لتحجيم خطاب الكراهية، وتعزيز تدابير السلامة للحد من المعلومات المغلوطة والمضللة، والعنف الذي ينهمر عبر وسائط التواصل الاجتماعي وصولاً لتكنولوجيا آمنة وأخلاقية.

التعليم وصرامة القوانين

ولا يبدي الطاهر اختلافاً كبيراً مع رؤية نمر، حيث يعوّل على الدور الكبير والأساسي للتعليم في تغيير الأفكار والمفاهيم المسبقة، مشيراً إلى أنه بالإمكان مواجهة خطاب الكراهية والتمييز العرقي والقبلي عبر نشر الوعي حول مخاطره والتعريف بأهمية التعايش السلمي، داعياً في السياق إلى إشراك المجتمع المدني، عبر المنظمات غير الحكومية التي لها دور مهم في مراقبة خطاب الكراهية والعمل على تعزيز التفاهم والتسامح بين الجماعات المختلفة. كما دعا الطاهر إلى وضع وتنفيذ قوانين صارمة تجرم خطاب التمييز، كخطوة ضرورية لحماية السلم المجتمعي، وهو التمييز الذي يدعو كذلك آدم رُجَّال لمحاربته بكل الأشكال الممكنة، كونه لا يؤدي إلا تراكم الغبن، «والغبن لا يبني الأوطان»، كما يقول، «بل تُبنى بالتسامح ونشر ثقافة السلام المجتمعي وتعزيز لغة الحوار».

الدولة السودانية: تاريخ حافل من الإفلات من العقاب

سمير شيخ إدريس

الصورة الكبيرة

محاولة لسبر لأغوار تاريخ العنف والإفلات من العقاب في السودان منذ الاستقلال، حيث لم يخضع أي مسؤول للعقاب على الجرائم المرتكبة ضد المواطنين. يعزو الكاتب ذلك إلى قبضة الدولة المحكمة على التشريعات والقضاء، مما جعلها تحمي مرتكبي الجرائم. يشرح المقال كيف أن الأنظمة العسكرية الديكتاتورية والحكومات المدنية الضعيفة ساهمت في ترسيخ مفهوم الإفلات من العقاب. يوضح المقال أن المجتمع السوداني المنقسم قبليًا وعرقيًا ساهم في تعقيد المحاسبة، حيث استغلت السلطة هذه التباينات لحماية مرتكبي الجرائم. كما يستعرض المقال أبرز الجرائم والانتهاكات التي مرت دون محاسبة، مثل مذبحة عنبر جودة 1956، وجرائم نظام عبود، ونظام مايو، وأحداث دارفور 2003. يتناول المقال أيضًا مفهوم العدالة الانتقالية وكيفية تطبيقه بشكل جزئي، إلا أن محاولات تطبيقه في السودان غالبًا ما كانت تهدف إلى تفادي المحاسبة.

نقاط جوهرية

- العدالة الانتقالية تتطلب إصلاحات مؤسسية حقيقية والتزامًا بمعايير القانون الدولي، وهو ما لم يتوفر في السودان.
- يؤكد المقال على أن تحقيق مبدأ المحاسبة وعدم الإفلات من العقاب يتطلب بناء دولة مؤسسات تحترم حقوق الإنسان وتلتزم بالقانون الدولي
- نحتاج كذلك إلى تجاوز الانقسامات القبلية والعرقية لتحقيق مجتمع المواطنة والمساواة.

تملك الدولة السودانية سجلا حافلا من العنف والمظالم التاريخية في مواجهة مواطنيها منذ بواكير الاستقلال يقابله السجل الأكبر من إفلات مرتكبي جرائم العنف من العقاب حيث لم يخضع أي مسؤول عنها للعقاب حتى تاريخنا الحاضر، ويعود ذلك بشكل أساسي لكون العنف الذي مورس كان يتم من قبل الدولة التي إلى جانب امتلاكها أدوات العنف فهي تحكم قبضتها على التشريعات والقوانين وأدوات إنفاذ القانون بما في ذلك إحكامها على القضاء ومنعه من أي استقلال وبالتالي تشكل الدرع الحامي لأفرادها من المساءلة والعقاب، ولأن الدولة السودانية حكمت في غالب سنواتها بأنظمة عسكرية ديكتاتورية تنسب لها فظائع العنف الواقع على المدنيين سهل ذلك الأمر لتكريس مفهوم الإفلات من العقاب، وحتى الفترات القصيرة التي شهدت حكومات مدنية أعقبت الثورات على الأنظمة الديكتاتورية فقد اتسمت تلك الحكومات بالضعف وعدم الجدية في محاسبة الأنظمة البائدة، كما لم يتح لها الوقت الكافي لبناء دولة مؤسسات تشريعية وتنفيذية قادرة على تأسيس أنظمة قانونية قادرة على محاسبة وردع مقترفي تلك الجرائم وجعلهم عبرة لمن يقدم على إعادة اقتراف ذلك الجرم، ما أتاح المزيد من إساءة الأدب طالما توافر مفهوم الأمن من العقاب، إضافة لأمر آخر أدى لتعميق صعوبة المحاسبة يتعلق بطبيعة المجتمع السوداني نفسه المنقسم وفقا لتباينات قبلية وعرقية وطائفية شهدت تأريخا حافلا من النزاعات أدت في كثير من الأحيان لتهديد نشوء سلام اجتماعي في الدولة لضلوعها في العنف إما بسبب الصراعات والنزاعات بين تلك الطوائف أو باستخدامها كمطية في يد السلطة لتصفية معارضيها، وفي كلا الحالتين يتم استخدام ذلك التباين والانتماء الطائفي والقبلي لحماية أفرادها من مقترفي العنف المرتكب بواسطة تلك الجماعات للإفلات من المساءلة والعقاب.

علي ذلك فإن إخفاق الدولة السودانية على مدار تاريخها وعدم قدرتها على ملاحقة الجرائم وتكرر حالات الإفلات من العقاب أصبح إرثا يوصم التجربة بكاملها ويعد سببا رئيسيا لما آلت إليه الأوضاع مستقبلا، حيث لم يتم تقديم أي مجرم للعقاب من مسؤولي مذبحة عنبر جودة بعد أشهر قليلة من الاستقلال 1956، كما لم تتم محاسبة جادة لنظام عبود على جريمة قتل المتظاهرين وتشريد الأهالي غصبا، وأفلت منسوبو نظام مايو بما اقترفوا من جرائم التعذيب والانتهاكات والقتل في الجزيرة أبا 1970 وترحيل الفلاشا مثلما مرت مذبحة الضعين 1987 مرور الكرام ورفضت الحكومة المدنية وقتها تقديم الجناة للمحاكمة ووسمت بالجريمة المسكوت عنها، وفي عهد الإنقاذ الذي يعد أكثر العهود انتهاكا لحقوق المواطنين منذ إعدام ضباط رمضان ودفن بعضهم أحياء والجرائم بقتل وتصفية المعتقلين في بيوت الأشباح والطلاب في جامعة الخرطوم والجزيرة وفي العيلفون وبورتسودان وكجبار ومتظاهري الثورة 2018 وتعد أفظع إنتهاكاتهم تلك التي أندت جبين الإنسانية بسقوط 300 ألف قتيل و4 ملايين نازح في دارفور 2003 وفي النيل الأزرق وجبال النوبة وغيرها من جرائم الفساد والمحسوبية التي ينعم مرتكبوها برفاهية ما سرقوه من مال الشعب في ملاهي تركيا وماليزيا وغيرها، بل امتدت جرائم الإنقاذ لما بعد سقوط نظامهم عبر مخالبهم المسؤولين عن مجزرة فض الاعتصام 2019 رغم معرفة مرتكبيها الذين أقروا بمسؤوليتهم عن التخطيط والتنفيذ للمجزرة وقتلى انقلاب 2021 ونشوب حرب أبريل 2023 وما صاحبها من انتهاكات ودمار وتشريد طال غالبية الشعب التي لم تكن ليتم اقترافها لولا ركون الفاعلين لهذا الإرث المتنامي في الدولة في الإفلات من العقاب.

ارتبط مفهوم الإفلات من العقاب بمبدأ آخر هو العدالة الانتقالية ورغم نجاح تحقيق هذا المبدأ جزئيا في بعض المناطق إلا أن التسويق له في السودان لم يكن منزها من غرض الالتفاف لتفادي المحاسبة والتكريس للإفلات من العقاب، ففي الفترة التي علت فيها أصوات الضحايا وأسرهم مطالبين بالقصاص من المجرمين ومحاسبتهم كانت الحكومة المدنية ما بعد الثورة في تحالف مع المتورطين أنفسهم الذين ما فتئوا يحاولون إجهاض مشروع الثورة القائم على تحقيق العدالة بكافة أشكال التربص الذي انتهى بالانقلاب على الثورة والحكومة المدنية بسبب الخوف من بلوغ تلك الغاية التي ستفضي بهم للمشانق، لذلك كان التلويح بتطبيق مبدأ العدالة الانتقالية ليس إلا

كسبا للوقت مع التربص للحظة الانقضاض حيث لا أمان لهم مع تعالي المد الثوري.

فالعدالة الانتقالية كي تسود لها اشتراطاتها التي لم تتوفر في المشهد السياسي وقتها وكانت النية تتجه فقط لتبرئة المجرمين وليس تحقيق العدالة وإنصاف الضحايا، فالعدالة الانتقالية في مفهوم الروح القانوني الدولي تشمل كل العمليات والآليات لتجاوز تركة ماضوية واسعة من الانتهاكات من أجل العدالة والإنصاف وتحقيق المصالحة في المجتمع ليصبح قادرا على النهوض من عبء تلك التركة وهي تشترط بذلك الإصلاح المؤسسي القادر على تطبيقها والملتزم بمعايير القانون الدولي والأمم المتحدة لحقوق الإنسان بأن تحقق تدابير العدالة الإنتقالية مستقبلا عادلا للجماهير بعرض الجرائم المرتكبة وأسبابها الناشئة عن عنف منهجي طويل دون عقاب وذلك بالمحاسبة لمرتكبي الجرائم بعقابهم أو بالمصالحة المرضية للضحايا وإمكان تعويضهم عن الضرر إضافة لشرط جوهري يتضمن عدم تجدد الانتهاكات وهو ما لم يكن متوافرا بالقرب أو البعد عن المشهد آنذاك ونوايا العسكر واستعدادهم للمواجهة والمحاسبة. فالدولة الوليدة بعد الثورة كانت في وضع المقدرة ولم تكن في وضع الانهيار والنزاعات المتشابكة لإحلال سلام يفضي لحل نزاع قائم، بدلالة تشكيل العديد من اللجان للتحقيق حول جرائم النظام البائد وجرائم شريك السلطة العسكري التي انخرط بعضها بجدية في التحقيق لكنها جوبهت بوضع العراقيل من المتورطين وأذيال النظام السابق في عمق الدولة لما كان يملكه من تأثير ونفوذ لا يزال غياب الجدية والارادة من قبل السلطة المدنية والقوى الثورية التي تماهت في الشراكة مع الحليف العسكري والنزوع نحو تحقيق المصالح والتشبث بكرسي السلطة بشكل أضعف من قدرتها على تلبية تطلعات الضحايا وأسرهم لتحقيق العدالة ومحو المظالم التاريخية وهو ذات الضعف الذي أفضى في نهاية الأمر لإنقلاب الشريك عليهم وزجهم في السجون، ورغما عن ذلك لم تع تلك القوى الدرس وشرعت في البحث عن حلف جديد ومحاولة إعطاء قبلة حياة للسلطة الانقلابية عبر شراكة جديدة لتعيد ترسيخ مبدأ الإفلات من العقاب وهو الأمر الذي أفضى بتضافر عوامل أخري لنشوب الحرب الماثلة.

مع التطور والتعاون القانوني والسياسي على المستوى العالمي أصبحت مسألة الإفلات من العقاب تأخذ حيزا واسعا من الحماية بواسطة القوانين والمعاهدات الدولية التي تلزم المنضوين تحت منظومتها لتفعيل تلك القوانين لتكون جزءا من القوانين الداخلية للدول، ويكون لتلك المنظومات والدول القدرة على المساعدة في تطبيق عدم الإفلات من العقاب بما تملكه من سطوة وقوة إجبار الدول على الالتزام بالقانون الدولي والمبادئ العامة المتعلقة بحقوق الإنسان وتحقيق العدالة، ورغما عن ذلك فقد أخفقت الكثير من المنظمات الدولية والإقليمية والدول ذات النفوذ فيها عن تلبية رغبات غالبية الجماهير في الدول التي تعاني ظاهرة الإفلات من العقاب في قيام تلك المنظمات والدول على المساعدة من أجل إجبار الحكومات للخضوع للقانون والحماية من الجرائم المرتكبة ومحاسبة مرتكبيها سيما وأن فكرة المحكمة الجنائية الدولية جاءت لوضع حد لهذه الانتهاكات وإنهاء الإفلات من العقاب ورغما عن ذلك يظل جهدها في مكافحة الانتهاكات لا يذكر وذلك لتشابك المصالح الدولية وتغليبها على المبادئ القانونية، وعلى الشعوب عدم الركون على جهد تلك المنظومات في رد المظالم التي حاقت بها وأن تواصل جهدها بحثا عن العدالة وعدم الإفلات من عقاب تلك الجرائم التي لا تسقط بالتقادم في مواجهة مرتكبيها الذين لن يكونوا بمنأى عن المحاسبة طالما ظلت غاية تحركها إرادة الشعوب.

على ذلك فإن مبدأ المحاسبة وعدم الإفلات من العقاب لن يبلغ منال التحقيق إلا بتهيئة المناخ الملائم له باشتراط تحقق دولة المؤسسات التي تحترم وتحمي حقوق الإنسان والقادرة على تأسيس نظام قانوني فاعل متسق مع القانون الدولي وذي قدرة على القيام بدوره على منع احتكار الدولة للعنف والمحاسبة والردع دون خشية السلطة وباستقلال تام عنها بل تكون له القدرة على الرقابة لأفعال السلطة نفسها والقدرة على محاسبتها، يضاف إليه التحقق من المبادئ الثورية التي نودي بها لتحقيق مجتمع المساواة ودولة المواطنة التي تسمو على سيادة سطوة القبيلة والنعرات العنصرية والجهوية والإنتماء الطائفي.

موسيقى المنفى

الصورة الكبيرة

عند اندلاع الحرب في السودان في أبريل 2023، واجه السودانيون موجة نزوح واسعة إلى مصر، وضمن هؤلاء برز الموسيقيون كجزء مهم من الشتات السوداني، حيث أعادوا الحياة إلى المشهد الموسيقي المصري بلمساتهم الفريدة. خلال الأشهر الاثني عشر الماضية، أصبحت الموسيقى السودانية، سواء التقليدية أو المعاصرة، لغة موحدة تعكس شعورًا مشتركًا بالانتماء. هناك تداخل موسيقي قديم بين السودان ومصر، ويعرف الجمهور المصري الموسيقى السودانية من خلال شخصيات بارزة. بالإضافة إلى ذلك، استلهم الفنانون المصريون مثل محمد منير وعناصر موسيقية نوبية وسودانية في أعمالهم، ما ساعد في خلق منصة مرحبة بالفنانين السودانيين في مصر.

خلاصات

• بالرغم من الإنجازات الثقافية اللافتة، يواجه الموسيقيون السودانيون تحديات قانونية تتعلق بالحصول على تصاريح الأداء ورسومها المرتفعة، وتسعى نقابة الفنانين السودانيين بالقاهرة، إلى معالجة هذه التحديات.

• تشير الرؤية المتزايدة للفنانين السودانيين على الساحة الموسيقية في مصر إلى مستقبل واعد، حيث يمكن للتبادل الثقافي والتكامل أن يزدهر ويخفف من الشعور بالنزوح.

الموسيقيون السودانيون في القاهرة يجدون ملاذًا في فنهم

مع اندلاع الحرب في السودان في أبريل/نيسان 2023، واجه السودانيون موجة نزوح واسعة النطاق، إذ وجد الكثير منهم ملاذًا في مصر. ضمن هؤلاء اللاجئين، برز الموسيقيون كجزء مهم من الشتات السوداني، حيث حاولوا إعادة بناء حياتهم الفنية بعد فترة من التكيف. وبعد مرور أشهر قليلة، أعادت هذه المواهب السودانية الحياة إلى المشهد الموسيقي المصري بلمساتها الفريدة.

في الوقت الذي لاقت فيه السينما السودانية إشادة دولية، أثبتت الجالية السودانية وجودها القوي في الفنون المسرحية خلال العام الماضي، خاصة الموسيقى. أصبحت الموسيقى السودانية، سواء التقليدية منها أو المعاصرة، بمثابة لغة موحدة تعكس شعورًا مشتركًا بالانتماء. وبفضل حضورها البارز على المسارح في القاهرة والإسكندرية وغيرها، تمكن الفنانون السودانيون من إحياء هويتهم الثقافية وسط التحديات اليومية.

خلال الأشهر الاثني عشر الماضية، ظهر الشتات السوداني كقوة فنية متنامية في مصر، حيث لعبت الموسيقى دورًا مزدوجًا كوسيلة للتعبير الفني والدعم العاطفي. وقدمت الحفلات السودانية شعورًا بالوحدة والأمل لجماهيرها التي تعاني من صدمة النزوح، ما يعزز من قدرة الموسيقى على ربط الشتات بوطنهم.

التداخل الموسيقي بين السودان ومصر

يتمتع السودانيون والمصريون بتقاليد موسيقية مترابطة، تعود جذورها إلى التراث العربي والإفريقي المشترك. يتميز هذا التراث باستخدام المقامات والإيقاعات المتشابهة، ما يجعل الجمهور المصري متقبلاً للألحان السودانية. ويعرف المصريون الموسيقى السودانية من خلال شخصيات بارزة مثل آسيا مدني، التي تقدم مزيجًا من الفولكلور السوداني والألحان الإفريقية، ووعد عادل، التي تمثل وجهًا معاصرًا لهذا التراث.

تظل تأثيرات الفنانين السودانيين، مثل شرحبيل أحمد وملك الجاز السوداني، محفورة في الذاكرة الثقافية المصرية. كما أن فنانين راحلين مثل السير قدور والمغنية ستونا ساهموا في تعزيز هذا التواصل الثقافي بين البلدين. علاوة على ذلك، استلهم الفنانون المصريون مثل محمد منير وفرقة بلاك تيما ودينا الوديدي عناصر موسيقية نوبية وسودانية

في أعمالهم، ما ساعد في خلق منصة مرحبة بالفنانين السودانيين في مصر.

تأسيس الفرق الموسيقية في الشتات

وسط هذا الزخم الثقافي، أسهمت شخصيات بارزة مثل الصافي مهدي في إعادة إحياء الموسيقى السودانية في المنفى. بعد نزوحه إلى مصر في يناير 2024، أطلق الصافي جوقة «أصوات سودانية»، وهي استمرار لجوقته في الخرطوم. أسهمت الجوقة في توفير دعم نفسي واجتماعي لأعضائها السودانيين في القاهرة، بالإضافة إلى تعزيز الهوية الثقافية للسودان.

أظهرت جوقة «أصوات سودانية» قدرتها على المزج بين التراث السوداني والأغاني المصرية الكلاسيكية، ما جعلها أداة فعالة لمد الجسور بين الشعبين. استطاعت الجوقة من خلال ذلك جذب المواهب السودانية الجديدة، ما يعكس قوة الفن في الحفاظ على التراث وتعزيز التواصل الثقافي.

فرقة السلام ودورها في تعزيز السلام

إلى جانب «أصوات سودانية»، برزت فرقة «السلام»، وهي مجموعة مكونة من 20 فنانًا سودانيًا يقودها عمر حمادة. أسست الفرقة رؤية تتمثل في استخدام الموسيقى كوسيلة للشفاء وتعزيز السلام، عبر مزيج متنوع من الألحان السودانية والموسيقى الشرقية.

أعضاء فرقة «السلام»، ومن بينهم خريجو «بيت العود» في الخرطوم، يعكسون روح الإبداع والصمود في وجه الأزمات. من خلال أدائهم، أرسلوا رسالة أمل تعبر عن مرونة الشتات السوداني، مؤكدين أهمية الموسيقى كأداة لخلق الوعي والتغيير.

إسهامات دفع الله الحاج في حماية التراث

كان دفع الله الحاج من الشخصيات البارزة التي نقلت التراث الموسيقي السوداني إلى مصر. بالرغم من خسارته لمجموعة ضخمة من الآلات الموسيقية التقليدية خلال الحرب، واصل مهمته من خلال ورشة صغيرة لصناعة الآلات السودانية.

أعادت فرقة «كاميراتا للفنون الشعبية»، التي أسسها الحاج، تقديم هذا التراث للجمهور المصري عبر حفلات

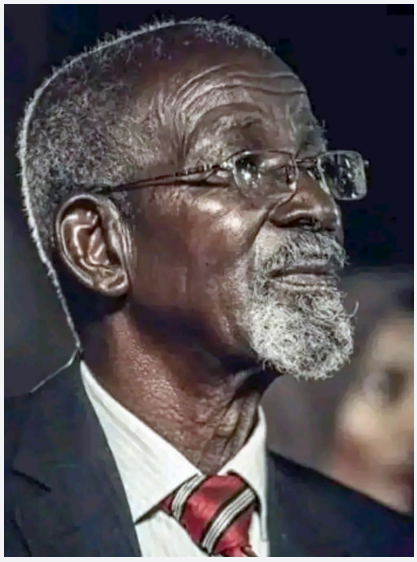

O شرحبيل أحمد

O الصافي مهدي

مميزة، ما يعزز أهمية الحفاظ على الموسيقى السودانية في الشتات.

إحياء الفرق السودانية القديمة

لا يقتصر المشهد الموسيقي السوداني في القاهرة على الفرق الجديدة فقط، بل يشمل أيضًا مجموعات راسخة مثل فرقة «دوبامين»، التي تأسست قبل اندلاع الحرب. استطاعت هذه الفرقة أن تمزج بين موسيقى الريجي والبلوز والمقامات السودانية، ما جعلها صوتًا معاصرًا يعبر عن تراث السودان.

من خلال فعالياتها المجتمعية، سعت فرقة «دوبامين» إلى تمكين الشباب السوداني في الشتات، مقدمين دعمًا فنيًا وشخصيًا للأعضاء الجدد، ما يعكس أهمية دورهم في تعزيز الفخر الجماعي والهوية الثقافية.

تحديات الحاضر وآفاق المستقبل

بالرغم من الإنجازات الثقافية اللافتة، يواجه الموسيقيون السودانيون تحديات قانونية، تتعلق بالحصول على تصاريح الأداء ورسومها المرتفعة.

ويكشف عادل حربي، رئيس نقابة الفنانين السودانيين ونائب رئيس اتحاد الفنانين العرب بالقاهرة، أن الفنانين كثيرا ما يواجهون عقبات في الحصول على تصاريح من نقابة الموسيقيين المصرية التي تفرض رسوما باهظة على الفنانين الأجانب. ويسعى حربي بشكل نشط إلى معالجة التحديات القانونية التي تحد من فرص الأداء، بهدف إزالة العقبات التي كثيرا ما تمنع الفنانين السودانيين من الوصول إلى المسارح التجارية.

وتشير الرؤية المتزايدة للفنانين السودانيين على الساحة الموسيقية في مصر إلى مستقبل واعد حيث يمكن للتبادل الثقافي والتكامل أن يزدهر، مما يخفف من الشعور بالنزوح ويوفر للموسيقيين السودانيين مساحة لمواصلة المساهمة في المشهد الموسيقي الأوسع.

وعلى الرغم من التحديات التي تفرضها الحرب والصدمة التي يسببها النزوح، فقد وجد الموسيقيون السودانيون ملجأ في فنهم، واستخدموه لإعادة الاتصال بتراثهم وتقديم العزاء لإخوانهم المنفيين. وفي الوقت نفسه، لا يعكس العام الماضي قدرة الفنانين السودانيين على الصمود فحسب، بل يعكس أيضًا الطرق الديناميكية التي يتم بها تبني تقاليدهم ودمجها في المشهد الثقافي المصري.

لا ملصو ليك التيلة ولا باعو ليك الجزيرة.. حكايات الفتى معاوية نور

عبد الغني كرم الله

الصورة الكبيرة

محاولة لاستكشاف عوالم معاوية نور، الصبي الذكي والحساس، الذي كان يدرس الطب في كلية كتشنر الطبية، وجد نفسه في حالة من التنازع الداخلي بين طموحاته والواقع المحيط به. بعد فترة من التفوق الأكاديمي، ترك معاوية الدراسة ليبحث عن نفسه ويحقق شغفه في مجالات أخرى، مثل الأدب والفكر.

مـــاذا؟

• تميّز معاوية بموهبته الأدبية والفكرية، حيث أبدع خلال خمس سنوات في إنتاج أعمال أدبية فريدة، ولكنه عاش في غربة وصراع نفسي بسبب الفجوة الكبيرة بين طموحاته وبيئته.

• في النهاية، توجه إلى بيروت لاستكمال دراسته في الجامعة الأمريكية، بعيدًا عن الضغوط العائلية والوصاية الاستعمارية.

هل ترغب في معرفة المزيد عن أي جزء من هذا الموضوع؟

(1)

الصبي معاوية نور، الذي بكى عند المشرحة، عند رؤيته الجثث، في مستشفى النهر، وهو يدرس الطب، وقد جاء الأول في الفصل نهاية العام، كعادته المتعبة، الذكاء الوقاد، والحس المرهف، في كلية كتشنر الطبية، قبالة السكة حديد، من باب «ذو العقل يشقى في النعيم»، فقد حارب في عدة جبهات، رغم غضاضة تجربته، عاند الأهل، وحارب وصاية الإنجليز، وسخر من رتابة الرأي العام، كان الله في عونه، ليته مثل تماثيل آلهة الهنود، بستة أيدي، كي لا يطفف ميزان العداوة، بين فتى أغر، ومجتمع قديم، كبير، وتخسر الحياة رائدا عجيبا، جر نواصيها لنور الفكر وضياء العاطفة.

ترك الدرس بعد شهور من تألقه هذا، ومضى يبحث عن نفسه، رغم جنة عدن الطب، ألا يدل هذا، أن هذه النفس خلقت لأمر ما؟ هي نفسها لا تملك منه فكاكا، شيء يمور في دخيلته، (جمل الشيل ما بشيلهو الويكة)، مخاض عظيم، في جسم أسمر، نحيف، حتى أصبحت حياته القصيرة، أويقات طلق، لميلاد أمشاج وعي مورث، ومكتسب، حتى أصبح كأنه ولد متعجلا، قبل ميلاده بمائة سنة، من ميلاده الحقيقي، أي أنه ابن اليوم، إن لم نقل ابن الغد، دون أي إحساس بمبالغة، بل تقصير.

اندلق معاوية، كالشلال، كأنه يعرف إن حصته في الحياة، قصيرة كبرق، ومضيئة مثله، شعاب الهم والأمل والطموح الإنساني، كله، فتقطرت نفسه إبداعا أدبيا وفكريا فريدا، في خمس سنوات يتيمة، هي مشروعه الإبداعي، مغردا في سموات، بلا نصير، وحده، في غربة، قل نظيرها، للبون الشاسع بينه، وبين أهله، وبيئته، ونفسه القلقة، الفذة، التي تعبت بمرادها الأجسام، حتى قلب أمه الطاهرة، أو أخيه شرحبيل، في حي الموردة العريق، أو صديقه عشري، وعطية، والمحجوب، كلهم تعبوا، لتعبه، وهو لم يلتفت سوى لنداء الشمس، فراشة سمراء، نصبت لها شمس عظمى، فشمرت تحلق حولها، وفي

قلبها، حتى امتزجت فيها، عين زرقاء اليمامة، لا تفرق بين شمس فكره، وروحه، التي سكبها في حروف وسطور.

كانت خالته، أخت والدته الطاهرة، حين يتبختر أخوه المرح جدا «شرحبيل»، في الحوش الطيني، غرب دار الرياضة، تصيح فيه «قايل روحك منو؟ لا ملصوا ليك التيلة، لا باعو ليك الجزيرة»، وهي تعني حب الأم للابن النجيب، معاوية، الذي سافر إلى بيروت على حساب أمه، بعد أن رفض الإنجليز، إلا أن يدرس الطب غصبا، فولى الأدبار، بعد عنت، وعناد عظيم، مع أهله، وصحبه، حتى ركب السفين، في طريقه لمدينة الجبال والأرز، وجبران، والجامعة الأمريكية، ومكتبتها الغراء، حيث عظام الأدباء، والمفكرين، أصحابه الكثر، ولمثلهم يشد الرحال.

الحكاية التالية:

معاوية وشرحبيل وكيس الصعود.

صلاح الدين الفاضل.. تحية واحترامًا

السر السيد

الصورة الكبيرة

احتفائية بالمخرج الإذاعي الكبير الدكتور صلاح الدين الفاضل ودوره البارز في مسيرة فنون الراديو في السودان، ولمسة وفاء لإعلامي وأستاذ جامعي وإداري، مع إشادة بشغفه وإبداعه في مجال الإذاعة.

خلاصات

- من الضروري الانتباه لمساهمات صلاح الدين الفاضل في تطوير الإذاعة السودانية، بما في ذلك جعله الإذاعة حاضنة لخريجي المعهد العالي للموسيقى والمسرح، ومبادرته في الأرشفة الرقمية، وتأسيسه لإذاعة البرنامج الثاني، واستقطابه للمبدعين والمثقفين لتقديم إبداعاتهم من خلال الإذاعة.
- تميز الفاضل في مجال الإخراج الإذاعي، حيث أخرج العديد من المسلسلات والبرامج الدرامية التي أثرت في المستمعين وخلقت شخصيات درامية لا تُنسى.
- من خلال أعماله المختلفة اضطلع صلاح الدين الفاضل بأدوار عظيمة في تعزيز الوعي والاستنارة.

تمهيد:

لا أملك من الكلمات ما أستطيع التعبير به عن موقع المخرج الإذاعي الكبير الدكتور صلاح الدين الفاضل في مسيرة فنون الراديو في السودان، فما أكتبه لا يعدو أن يكون احتفاء أدخل به إلى العام 2025. هذا العام الذي نأمل أن تسود فيه الحكمة ويتوقف نزيف الدم بين أبناء شعبنا.. هذا الدم الذي بات (يتسلق الجدران) بسبب النخب الفاسدة التي لا ترى إلا ما ترى وتصر على أن يسود ما ترى حتى ولو علواً فوق جماجم المستضعفين والمستضعفات.

أكتب عن صلاح الدين الفاضل الإعلامي والأستاذ الجامعي والإداري وقبل كل هذا المخرج الإذاعي الخلّاق.

في الكتابة عن رواد التنوير الذين أحدثوا فرقا في الحياة السودانية غالبا ما نغفل عن أدوار الفاعلين في مجالات الثقافة والإعلام والفنون، خاصة أولئك المنتسبين إلى المؤسسات الثقافية والإعلامية الحكومية وهو إغفال من وجهة نظري يقفز على معطيين أساسيين: الأول الطبيعة الديالكتيكية لهذه المؤسسات نفسها بما تشتمل عليه من تنوع في الأفكار والمواهب والمواقف بين العاملين فيها وفي ما تقدمه من محتوى وفيما يناط بها من تلبية احتياجات للمواطنين لا مفر منها، كالبرامج التعليمية مثلا، والثاني ما يرشح مما أسميه فعل المقاومة والمتمثل في النقد الذي تتعرض له هذه المؤسسات فيما تقدمه من محتوى وفيما تتبناه من سياسات.

تكمن معضلة هذا (الإغفال) في أنه يقوم على نظرة تبسيطية تضع هذا الكل المركب في جيب السياسة بمفهومها المباشر، والسياسة هنا هي السلطة وما ينتج منها متغافلة حتى عن المستوى الثاني للسياسة أي المقاومة مع أن التاريخ يقول: حيث ما وُجدت السلطة وُجدت المقاومة.

عن صلاح الدين الفاضل:

بالنسبة لي عندما أنظر إلى موقع صلاح الدين الفاضل المخرج والإداري وإلى ما قدمه في دروب التنوير المتعرجة عبر عطائه في هذه المسيرة المركبة.. مسيرة الإذاعة السودانية بأذرعها المختلفة من إذاعات ولائية وموجهة ومتخصصة، وفي مختلف الأشكال البرامجية، أجدني سأقف على سفر في العطاء المختلف جدير بالتأمل، فصلاح الدين الذي تولى مناصب قيادية عدة منها مديرا للدراما ومديرا للإذاعات الولائية والموجهة والمتخصصة ثم أخيرا مديرا للإذاعةالسودانية، كان أكثر ما يميزه الشغف بما يقوم به.. ذلك الشغف الذي يقف على أرضية من استصحاب الخبرات المتراكمة والتخطيط الاستراتيجي والتشاركية في صنع القرار، فالإدارة عنده كما لمست تعني تفعيل ذلك المزيج من التجارب والأفكار والعواطف والمضي به قُدما نحو الهدف، وهنا أستطيع القول إن مرد ذلك الشغف ربما يعود إلى أنه شريك وفاعل في ما تنتجه المؤسسة التي يديرها من برامج، (سلع)، فهو معد ومخرج كما نعلم وبهذه الصفة يكون قد تذوق طعم التعلم والتعليم والمنافسة والنجاح والفشل والانتماء ومعنة تواصل الجيال، وكل هذه حالات جديرة بصناعة القلق المنتِج ومن ثم الإدارة المبدعة.

للتدليل على هذا الشغف الاستراتيجي، أقدم هذه الإشارات:

الإشارة الأولى وهي جعله الإذاعة في أن تكون حاضنة لخريجي المعهد العالي للموسيقي والمسرح (كلية الموسيقى والدراما)، لا لكي يقوموا بإخراج الدراما مجال تخصصهم وإنما أيضا البرامج الأخرى، والقيمة المضافة هنا تكمن في تشبيك الإعلام مع الفن، وهو تشبيك لا تخفي إضافاته للرسالة الإعلامية، ليمتد هذا التشبيك بتحريضه لآخرين على الدراسة في المعهد/ الكلية وتفريغهم لهذه المهمة بل وأكثر من هذا تحريضه للكثيرين على الانخراط في الدراسات العليا، لتكون المحصلة إضافة للإضافة الفنية ذلك الحضور الإداري في قيادة الإذاعة لهؤلاء الخريجين من أمثال إبراهيم البزعي وصلاح الدين التوم ود. طارق البحر وخطاب حسن أحمد وغيرهم.

الإشارة الثانية وهي مبادرته الاستراتيجية

فيما عرف بالأرشفة الرقمية وهي العمل على تحويل أرشيف الإذاعة الضخم إلى أرشيف رقمي الذي بدأ بالفعل ولكن تعثرت خطواته لأسباب ليس هنا مجال ذكرها.. هذه الأرشفة التي أثبتت الأيام خاصة بعد حرب الخامس عشر من أبريل 2023 إنها كانت هي العمل الاستراتيجي الملح.

الإشارة الثالثة وهي تأسيسه لإذاعة البرنامج الثاني في النصف الأول من التسعينيات التي شارك في التخطيط لها كوكبة من كبار المثقفين والإعلاميين، نذكر منهم الأستاذ علي المك والأستاذ الخاتم عبدالله وكان قد أوكل مهمة تأسيسها وإداراتها للمخرج خطاب حسن أحمد.. هذه الإذاعة التي أحدثت فرقا كبيرا في علاقة الإعلام بالثقافة والفكر.

الإشارة الرابعة وهي عمله ومنذ وقت مبكر في استقطاب المبدعين والمثقفين ليقدموا إبداعاتهم من خلال الإذاعة السودانية كالشاعر محمد عبدالحي فى برنامج (أقنعة القبيلة) والتشكيلي أحمدالطيب زين العابدين في برنامج (التشكيل في الثقافة السودانية)، وغيرهما.

أذكر هنا ولجعل هذا ممكنا كانت له تدخلاته الحميدة في اللائحة المالية للبرامج التي كانت شحيحة بما لا يقارن.

أشير هنا وبناء على الشغف والتشاركية التي تميز بهما والرؤية الاستراتيجية التي توفّر عليها إلى تلك الروافع المتمثلة في الإرث الإذاعي الكبير وفي أدوار أستاذنا معتصم فضل وأستاذنا الخاتم عبدالله، فبذاك الإرث وبأدوارهما صار كل ما خطط له ممكنا.

أما في مجال الإخراج

الذي هو سفر كبير لا يمكن الإحاطة به في هذه العجالة إذ أنه لا يمكن النظر إليه إلا في سياق التعاضد وفي نفس الوقت التنافس الحميد بينه وبين المخرجَين الكبيرين معتصم فضل ومحمود يسن، إذ شكّل ثلاثتهم بشكل عام المسمع الدرامي طيلة الفترة الممتدة من السبعينيات إلى الثمانينيات؛ وهو مسمع في مجملة شكّل قفزة نوعية على صعيدي الشكل والمحتوي في الدراما الإذاعية السودانية. فصلاح الدين الفاضل الذي كان اشتغاله متنوعا فقد أخرج المسلسل والتمثيلية والبرنامج الدرامي وتميز أكثر في رهانه على الممثل/الممثلة وعلى الموسيقى التصويرية والمؤثرات الصوتية المصنوعة خصيصا للعمل كما تميز بتركيزه على ممثلين بعينهم «مكي سنادة وفوزية يوسف وتحية زروق وإبراهيم حجازي» كما إنه كان يراهن باستمرار على الموضوعات الجديدة مع حضور للتنوع في اللغة والمحتوي، فقد أخرج على سبيل المثال، لحمدنا الله عبدالقادر ولهاشم صديق ولمحمد خوجلي مصطفى ولتاج السر عطية ولصلاح حسن أحمد ولعثمان جمال الدين، ولكل من هؤلاء الكُتّاب أسلوبه الخاص في الكتابة وفي اجتراح الموضوعات والقضايا. في كل هذه الأعمال كان مُخرجُنا يشتغل على جعل كل ما يسمع يُرى وإلى إثارة الأسئلة المجتمعية الصعبة كما في البرنامج الدرامي (رسائل من الحياة) لتاج السر عطية وكما في مسلسل الحياة مهنتي لصلاح حسن أحمد وكما في حكاية نادية لحمدنا الله عبدالقادر والحراز والمطر لهاشم صديق. يبتدع الدكتور طريقة في الإخراج تجعل المستمع والمستمعة وكأنهما أمام شخصيات من لحم ودم خاصة الشخصيات المحورية حتى إنه في مسلسلاته استطاع أن يخلق شخصيات تمشي بين الناس كتلك الشخصيات التي خلقها الطيب صالح في رواياته.. أعني هنا إنه يعمل على تحويل العمل الدرامي إلى صيغة سردية مسموعة كما في مسلسل (حكاية نادية)، قليل الشخصيات والقائم على حوار سمته الأساسية السجال.

كلنا الآن بات يعرف «خليل إبراهيم جار النبي» في تمثيلية (التقرير الأخير) لصلاح حسن أحمد، و»عصام محمود» في (مسلسل الحراز والمطر) و»موسى ود السرور» في مسلسل (الحياة مهنتي) و»سكينة» في مسلسل (خطوبة سهير) لحمدنا الله عبدالقادر.

هذه العوالم الدرامية التي يمنحها المخرج صلاح الدين الفاضل صوتا تصرخ به وتهمس به وتحكي به، تصب كلها في بحر الاستنارة والوعي ما استطاعت.

أستاذي ومعلمي صلاح الدين
الفاضل تحية واحتراما.

إليـــه..

نضـال علـي

والحزن ينتعل خفه الشتوي
ونحن غرباء الديار.. في منافي
الدنيا البعيدة ..
وبعد:
مضى الزمن مسرعًا.. ونحن
يتامى الأوطان.. حراس الألم
أقبل عام جديد..
ونحن باقون وسط خسارات..
لا تعد..
نقطع حبال الصبر.. بسكينة
القدر
وحلم العودة ..
أغنية حاااارة على الصدور..
وعناق مؤجل مع الوطن.
نحن الذين.. أكلت الغربة
أعمارهم..
حين اختبأت الشمس
وجاءت مقصلة العذاب.
وتخطينا كل المحاولات
للرجوع.
فشتاتنا ما كان يوما لائقًا..
ضمن مصادفات الحياة..
وتخطيط القدر..
هو خديعة الأرض والأوطان..
والخيبة التي قادتنا..
نحو بلاء لم نعتد.. عليه.
فنحن. .
أفقر الناس..
إذا لم نملك للعودة وجهة...
فمتى...
يضعنا الوطن على بابه؟؟
متى...
يمكننا صفق الباب والعودة من
حيث أتينا؟؟؟
طالت المشاوير

وتفرق دمنا بين القبائل.
وانتابنا خوف.. أن لا تأتي
مواسم البهجة...
فكل نصر مكيدة..
وكل فرح أذى
والوعود الملونة.. قنابل
ستنفجر.
والأماني...
كمن يصفر في الظلام.. ليبعد
شبح الخوف...
فجميعنا في حالة رعب
نحن
الآتون من خراب الأوطان..
لا أحد ينسى.. كيف سرقت
الطمأنينة من صدره...
حين صارت الغربة.. حدثًا
جماعيًا.. ونكبة مروعة
لشعوب نازحة.
هائمة على وجهها.. بين القارات
والكل مفارق....
حين غادرنا.. على عتبة الأمواج
ليلًا..
بأوراق لاجئ.
وصرنا مجرد نكرة....
لتصبح الانتصارات المزعومة..
كمدرسة عقدت اجتماعًا.. للآباء
وأكثر طلابها يتامى..
وصار الشتات المشروع الوحيد..
الذي يمكن الرهان عليه
وأصبحنا.. مصابون بأرق
العودة
ولا شيء يربطنا بالحياة
الصعبة .
سوى الحلم...
والدعوات التي تبلل.. قلوبنا

التي ترتجف.. من الغياب..
حين تبعثرنا.. مثل قلادة
كانت عقدا جميلًا...
فأضحت مجرد ذكرى من
التاريخ
فمتى يستجيب القدر؟؟
لنترك أوطاننا.. مستأجرة
نطرح فيها..
أنفسنا.. ضحكاتنا
لحظات يأسنا..
دموعنا.. وأوجاعنا.
في أماكن مدفوعة الأجر.
فالوطن في العروق.
فهل تكفي.. قطرة من رذاذ حلم
العودة.. لبناء وهم جميل؟؟
لتحمل الريح أشلاء الحكايات
ونعود نابضين كالفجر الجديد
نرش الملح على عمق الجرح
ونعود بالثورة...
لنستحق البقاء.
نخبر العالم ...
بمن توحدوا على ذبحنا
واتقنوا فن الأختباء
سننتظر طريق العودة
عنواننا عشق الوطن
سننتظر..
هذا.. المساء
وكل... مساء
حتما سنعود يومًا.. ولا نامت
أعين الجبناء..
هاش_تاق
سيظل الوطن فينا
إلى أن تصبح الدنيا أكثر عدلا

الهلال يتأهل مبكراً

الصورة الكبيرة

حقق الهلال إنجازًا كبيرًا بتأهله رسميًا إلى دور ربع النهائي من بطولة دوري أبطال أفريقيا بعد تعادله الإيجابي 1-1 أمام مولودية الجزائر في المباراة التي جمعت الفريقين على ملعب الأخير ضمن الجولة الرابعة من دور المجموعات.

سيناريو المباراة

بدأت المباراة بقوة من جانب مولودية الجزائر الذي فاجأ الهلال بتسجيل هدف مبكر عن طريق اللاعب بيزيد في الدقيقة الخامسة، مستغلًا خطأ دفاعيًا في التمركز. وبعد الهدف الجزائري لم يتغير الوضع كثيرا حيث سيطر المولودية على الشوط الأول تماما مع توهان كامل للاعبي الهلال.

وفي الشوط الثاني استعاد توازنه تدريجيًا وسيطر على مجريات اللعب حيث كثّف الهلال من هجماته بحثًا عن هدف التعادل، معتمدًا على مهارات لاعبيه أداما كوليبالي وايمي تيندنغ . وجاءت اللحظة الحاسمة في الدقيقة 78، عندما سجل جان كلود هدف التعادل بعد هجمة منسقة، ليعيد الأمل لجماهير الهلال.

التأهل المستحق

بهذا التعادل، رفع الهلال رصيده إلى 10 نقاط في صدارة ترتيب المجموعة الأولى، جمعها من الفوز في 3 مباريات والتعادل في واحدة، ليبقى الفريق دون أي هزيمة حتى الآن في البطولة. ونجح الفريق في تسجيل 6 أهداف واستقبال هدفين فقط، ليؤكد قوة دفاعه وصلابة منظومته التكتيكية.

هذا التأهل جاء قبل جولتين من نهاية دور المجموعات، حيث يتفوق الهلال بفارق 6 نقاط عن يانج بويز صاحب المركز الثالث، ما يضمن له رسميًا التأهل بغض النظر عن نتائج الجولتين المقبلتين.

ترتيب المجموعة الأولى

الهلال : 10 نقاط (3 انتصارات، تعادل وحيد).

مولودية الجزائر: 5 نقاط (فوز واحد، تعادلين، خسارة واحدة).

يانج بويز: 4 نقاط (فوز واحد، تعادل، خسارتين).

مازيمبي: نقطتان (تعادلان، خسارتان).

أداء يلفت الأنظار

تأهل الهلال إلى ربع النهائي يعكس تطور الفريق خلال السنوات الأخيرة، حيث تميز الفريق بتنظيمه الدفاعي القوي، بالإضافة إلى الفعالية الهجومية التي قادته لتحقيق هذا الإنجاز المبكر.

ومع ضمان التأهل إلى ربع النهائي، يتطلع الهلال إلى تحقيق المزيد في هذه النسخة من البطولة، وسيسعى الفريق إلى الحفاظ على مستواه القوي في الجولات المتبقية من دور المجموعات لضمان الصدارة والاستعداد

جيدًا لمباريات الأدوار الإقصائية.

مستوى الهلال الحقيقي

وأعرب المدير الفني لفريق الهلال ، فلوران إبينغي، عن سعادته الكبيرة بتأهل فريقه إلى ربع نهائي دوري أبطال إفريقيا، مؤكدًا أن هذا الإنجاز يعكس مستوى الهلال الحقيقي.

وقال فلوران خلال المؤتمر الصحفي الذي عقد بعد المباراة: «هذا هو مكان الهلال الطبيعي. هدفنا إسعاد الجماهير السودانية والموريتانية لأنهما تستحقان ذلك. نحن هنا لنمثل الكرة السودانية والموريتانية بأفضل صورة».

وأضاف المدرب الكونغولي: «الدوري الموريتاني بمستواه التنافسي العالي ساعدنا على المضي قدمًا والتأهل لهذا الدور المهم. هذا الإنجاز ليس فقط لنادي الهلال، بل هو أيضًا للكرة السودانية والموريتانية ككل».

وأكد فلوران أن الفريق لن يتوقف عند هذا الحد، حيث قال: «الوصول إلى ربع النهائي يعد حافزًا كبيرًا للمضي قدمًا. نسعى للوصول إلى نصف النهائي وأبعد من ذلك. ندرك أن المهمة لن تكون سهلة، فدوري أبطال إفريقيا بطولة احترافية وصعبة للغاية».

وختم حديثه مؤكدًا أن الفريق سيواصل العمل بجد لتحقيق المزيد من الإنجازات وإسعاد جماهيره.

انفوغراف

جان كلود..
المفتاح السحري

30 دقيقة

لعبها أمام مولودية بعد دخوله كبديل في الدقيقة 60

1 تسديدة

سجل منها هدف الهلال بتسديدة من خارج منطقة الجزاء بعد مراوغته لاثنين من المدافعين

30 دقيقة

لعبها جان كلود أمام مولودية بعد دخوله كبديل في الدقيقة 60

%67

نسبة التمريرات الصحيحة للاعب في المباراة

7.3 تقييم

لمس فيها النجم البوروندي الكرة خلال المباراة